

العاطفة والإدارة في الشخصية القيادية

الرسول صلى الله عليه وسلم (أنموذجا)

د. حمد بن ناصر السبهيان (*)

• المقدمة :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

و بعد،،،

فأن لكل أمة أبطالها ورجالها الخالدين، الذين تحرص على تسجيل جميع ما يتصل بهم من أقوال وأعمال، حيث تعتبر ذلك مفخرة من مفاخرها، ومأثرا من مآثرها، وليس ذلك فحسب، بل إنها تريد أن تظل حياة هؤلاء الرجال سيرة ترتادها الأجيال المقبلة لتقتدي بها، وتسلك سبيلها، وهذا الذي فعلته الأمم ذات الحضارات الخالدة في سجل التاريخ، وإذا فعلت ذلك أية أمة من أمم الأرض برجالها، فإن أمة الإسلام أولى بذلك وأحرى لأنه ليس لأمة من الأمم تاريخ مشرق وضاء، مثل ما لأمة الإسلام التي اختار الله لها أفضل الخلق أجمعين سيد الأولين والآخرين النبي الأمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، حيث دخلت بسببه في سجل التاريخ، (وما كان لها ذكر)، ثم أصبحت سيده الأمم كلها، فكانت بذلك خير أمة أخرجت للناس.

يضاف إلى ذلك أن هذه الشخصية معصومة بعصمة الله لصاحبها من الوقوع في الأخطاء البشرية التي لا يسلم منها أحد، فكانت حجة على الناس ينبغي تبنيها والعمل بمقتضاها، والبحث عن جميع ما يتصل بها بحثاً علمياً يعتمد على الدراسة النقدية المستندة.

(*) جامعة محمد الخامس - أكادال - الرباط - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - شعبة الدراسات الإسلامية.

هذا وإن مما يؤسف له: أن هذه السيرة المحمدية كما أثارت إعجاب المحبين فقد تعرضت لتجاهل غير منصف في الأوساط العلمية اليوم، ومن أبرز هذا التجاهل أن ترى كثير من الباحثين في العلوم الإنسانية - ومنها الجانب الإداري والقيادي - يعظمون ويستشهدون بقيادة كثر عبر التاريخ الماضي والحاضر، على اختلاف أقطارهم واتجاهاتهم، ولو كان هؤلاء القادة بطشة ظالمين، أو مرضى نفسيين، ممن يبنون مجدهم على جبال الجماجم: تعصبا لمجد شخصي، أو عرق بشري، بينما تراهم يتعاملون مع هذه الشخصية النبوية الكاملة خلقا وخلقا، قولا وعملا، إدارة وقيادة، وكأنها غير موجودة على مسرح التاريخ، نعم هناك كلمات إيجابية (مجملة) وتثناء عاطر من بعض المنصفين من غير المسلمين، لكن هذه الكلمات - لم تدخل المراكز العلمية العالمية والجامعات المؤثرة، والكتب المتخصصة، بالشكل المطلوب، ولا بد من الإشارة إلى أن هذا التجاهل المشار إليه إنما يقع جزء كبير من مسؤوليته على المسلمين أنفسهم في تقصيرهم في خدمة سيرة نبيهم الكريم صلى الله عليه وسلم: في دراستها، وتحليل مواقفها، وتقديمها باللغة العلمية العصرية المتخصصة، ليرى العالم أثر هذه الشخصية النبوية الكريمة، في جوانبها المتعددة - ومنها الجانب الإداري القيادي، الذي جعل واحدا من أكثر المنصفين الغربيين وهو مايكل هارت حين وضع في كتابه (الخالدون المائة) الرسول صلى الله عليه وسلم في المرتبة الأولى لأنموذج القيادة الناجحة، مبررا ذلك: "لأنه أقام جانب الدين دولة جديدة"، بل و يعتبره أعظم رجال التاريخ معللاً هذا الاختيار بقوله: "إن اختياري محمداً، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ، قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي.

هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته. ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضاً، وخذ القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم. أيضاً في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية، وأتمها.

وقال أيضاً: "ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم قوة جبارة لا يستهان بها فيمكن أن يقال أيضاً إنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ"^(١). ويفصل العقاد مواقف هذه الشخصية القيادية المميزة وتوازنها بين الجانب الإنساني والإداري، مؤكداً أهمية الجمع بينهما بالقدر المناسب، فيقول في عبقرية محمد (صلى الله عليه وسلم): "وإذا نظرنا إلى شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) رأينا أن مواقفه كلها تتسم بالإنسانية التي لا تعرف التهاون، وبالحسم الذي لا يعرف الظلم. وبالعدل الذي يضع كل إنسان في موقعه المناسب، وقد يحتاج الموقف لينا لو استبدل به شدة لفسد كل شيء،

(١) (مايكل هارت: في كتابه مائة رجل من التاريخ) قام أنيس منصور بترجمة النسخة الأولى من هذا الكتاب التي نشرت عام ١٩٧٨ كتاب الخالدون مائة أعظمهم محمد (بالإنجليزية):

The 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History

كتاب من تأليف مايكل هارت وهو عبارة عن قائمة احتوت على أسماء مئة شخص رتبهم حسب اعتقاده بأهميتهم. اتبع أسساً محددة في ترتيب الشخصيات ووضع شروط لاختياره منها: أن تكون الشخصية حقيقية عاشت فعلاً، وأن تكون الشخصية غير مجهولة، فهناك مجهولين عباقرة مثل أول من اخترع الكتابة لكنه مجهول، وأن يكون الشخص عميق الأثر - سواء كان الأثر طيب أو خبيث - وأن يكون له تأثير عالمي وليس اقليمى فقط. يستبعد الكتاب كل من هم لازالوا على قيد الحياة.

وقد يحتاج الموقف شدة لو حلّ محلها لين لأضر ذلك بالدين والقيم، واختلاف التصرف باختلاف المواقف والرجال لا يتعارض مع القواعد العامة، والقيم العليا، إذا ما صدر ذلك عن نفس بصيرة موصولة بالله، وهل كان هناك من هو أنقى وأظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١)؟.

ومن هنا يتبين أن براعته في القيادة صلى الله عليه وسلم لم تكن مقتصرة على الجانب العسكري فحسب - كما هو حال أغلب القيادات البارزة في التاريخ القديم والحديث - إنما كانت شاملة لكل مجالات الحياة حيث: يجد المعلم فيه أسوة، ووجد الأب فيه أسوة، ووجد التاجر فيه أسوة، ووجد الفقير فيه أسوة، ووجد الغني فيه أسوة، ووجد القائد فيه أسوة، ووجد المقود فيه أسوة.. وهكذا كل أصناف الناس، وكل مجالات الحياة لا تخلو من وقائع عملية تطبيقية قام بها النبي صلى الله عليه وسلم تصلح وتناسب لأن يتأسى بها الناس وأن يقتدي بها جميع الخلق . كما نشير إلى أن نجاح هذا القائد العظيم قد انعكس على أمتة بالعلو والنصر والتمكين، وهذا أمر يشهد له التاريخ كما قال "جورج سباين": "حتى تستطيع أن تعرف الأمة، حاول أن تعرف قائدها وملامحه السياسية والعقلية. وستجد عشرات من الأمم سقطت في الحضيض بسبب حكامها، وبالعكس هناك من الأمم من حققت الانتصارات والنهضات والتقدم على أيدي قادتها البارعين"^(٢). فقد نقل صلى الله عليه وسلم هذه الأمة بقيادته التربوية الشاملة من حضيض الغبراء إلى ذرى العلياء، وغير واقعها من الفوضى والتشرذم إلى الوحدة والبناء: فهو رسول قائد ... أرسى معالم التخطيط في زمان الفوضى ... وأسس للبحث

(١) العقاد عباس محمود عبقرية محمد الناشر: المكتبة العصرية.

(٢) جورج سباين، تطور الفكر السياسي، دار المعارف، مصر.

العلمي قواعد في واقع مليء بالجهالة ... وكان بارعا في التعليم و التدريب والتطوير... سيدا في معرفة معادن الرجال ... حكيما في وضعهم حيث ينفع الله بهم.

رسول قائد ... يبحث عن عوامل نجاح الدعوة خارج الصف مثلما يبحث عنها في داخله ... فنراه يستنصر الدين بأحد العمرين وهما أشد ما يكونا عداوة لهذا الدين.

رسول قائد استبدل بأرض الدعوة ومهبط الوحي أخرى أكثر خصوبة لدعوته ونصرة دينه، حين أدرك أن هذه التلة الثرىبة أكثر قبولا لنصرته ودعوته، فأخذ منهم مبايعة القلوب والأرواح قبل أن يخط معهم المواثيق على الصحف والألواح.

رسول قائد ... يعرف ما للقوة وأسبابها من دور في انتزاع الحقوق ونشر الصلاح، لكن لابد لها من حكمة تهذبها وتضبط صولاتها، فبالقوة والأخذ بأسبابها ... وبالحكمة وجني ثمارها ... يبدأ التمكين. رسول قائد ... نجح في تحفيز الخير في صدور أصحابه، فصنع من المخلصين رجالا ... ومن الرجال رواحل وقادة فتحوا الدنيا وسادوها وملأوها عدلا ورحمة. ومن هنا كان حقا أن نقف مع هذه السيرة القيادية التربوية لرسول أقام دولة راشدة عادلة كريمة، أحيا فيها كل أسباب العدل، وملأ الحياة فيها خيرا وبراً وبركة، فلا بد من أن تأخذ هذه الشخصية القيادية المتكاملة حقها من الدراسة والتحليل، وأن تقدم نموذجا ناجحا للمهتمين في مجال الإدارة التربوية مركزين على جانبين:

الأول: الجانب العاطفي الإنساني الأخلاقي الذي يكنّ للأتباع الحب والاحترام والتقدير.

الثاني: الجانب الإداري الذي يخطط ويدبر الأمور أحسن تدبير: تدبيرا يحقق الأهداف التربوية بأيسر السبل وأسرعها وأقلها كلفة.

وفي هذا جواب عملي لمن ينظر لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم نظرة استثنائية جامدة، غير قابلة للإقتداء والتأسي: يقول اللواء محمود شيت خطاب والذي كان من أبرز من تناول الجوانب القيادية في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه المميز: (الرسول القائد) متحدثا عن سر القيادة عند النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا كان الرسول قد انتصر بالخوارق فما قيمته كقائد .. وكيف يحتذى المسلمون بسيرته وقد ذهبت الخوارق .. وبقي الواقع المرير"^(١). وعليه فسيأتي الحديث في هذا المبحث مبتدئين بوصف عام للصفات القيادية للرسول صلى الله عليه وسلم، ثم يتلوه الحديث عن الجانب العاطفي الإنساني في قيادته، وبعده الختام بالجانب الإداري في شقيه السلمي والحربي، وبالله التوفيق.

• أهداف الدراسة :

يهدف هذا البحث للتعرف على:

- ١- التوازن في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم القيادية بين العاطفة والإدارة.
- ٢- إثبات إمكانية الجمع بين الأداء الإداري المميز والمحافظة على الود و حسن العلاقة مع الرؤوسين.

(١) خطاب محمود شيت، الرسول القائد، منشورات دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة - بغداد الطبعة الثانية.

٣- الرد على من يدعي أن العاطفة و حسن العلاقة علامة على ضعف القيادة و صعوبة تحقيقها للأهداف .

٤- إثبات أن الجانب الإنساني والعاطفي يزيد القائد مهابة ومحبة في قلوب أتباعه وليس العكس - كما هو شائع عند أغلب القادة.

• أسئلة الدراسة :

تحاول الدراسة الإجابة على التساؤلات الآتية :

١- كيف وازن الرسول صلى الله عليه وسلم في قيادته بين أسلوب الوالديه الراعية المساعدة والوالدية الناقدة الموجهة؟

٢- هل تتطلب جدية القائد وحزمه التفريط في العلاقة و روح المودة بين القائد ومرؤسيه؟

٣- ما هي الحدود التنظيمية بين العاطفة الشخصية و المواقف الإدارية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم؟

٤- كيف نجعل من شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم أنموذج الإدارة القيادية المتوازنة بين العاطفة والإنتاجية؟

• منهج البحث :

استخدمت في هذا البحث المنهج التاريخي الاستنباطي، وذلك باستعراض مواقف السيرة النبوية، واستنباط أبرز الجوانب القيادية والإدارية منها وتصنيفها حسب موضوعات الفصول، إضافة إلى منهج آخر: وهو المنهج التحليلي المعاصر، الذي يعنى فيه الدارس بتجلية حقائق السيرة النبوية من الناحية القيادية والإدارية، بإسلوب يهدف إلى جعل شخصية النبي صلى الله عليه وسلم الأنموذج الأول في التطبيقات والاستشهادات القيادية الإدارية.

• المصادر والدراسات السابقة:

استقيت لموضوع هذه المقالة من مجموعة مصادر كان من أهمها: كتاب الشفاء بتعريف أحوال المصطفى للقاضي عياض^(١) وما ألف حوله شرحاً وتحشية وتعليقاً، وكذلك ما كتبه ابن قيم الجوزية^(٢) رحمه الله في مجموع كتبه عموماً وفي كتابه: (زاد المعاد في هدي خير العباد)^(٣)، وقد تطرق في هذا الكتاب إلى مباحث السيرة النبوية، فكتب عنها كتابة تمتاز بالتحليل والاختصار واستخلاص العبرة من وراء ما يورده من أحداث

(١) هو أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت ٥٤٤هـ) ذو تصانيف ماتعة ومتعددة من أهمها هذا الكتاب - الشفاء - الذي صار أصلاً لمن جاء بعده ممن ألف عن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم قال بن فرحون في هذا الكتاب: أبدع فيه كل الإبداع، وسلم له أكفاؤه كفاءته فيه، ولم ناعه أحد في الإنفراد به، ولا أنكروا مزية سبق إليه،....، حمله الناس وطارت نسخه شرقاً وغرباً الديباج المذهب: (١٧٠).

(٢) ابن القيم هو العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الدمشقي، شمس الدين ابن قيم الجوزية، الحنبلي، إمام جليل من أئمة الدين، كان من ملازمي ابن تيمية، وكان واسع المعارف عالماً بالقرآن والسنة وعلومهما متبحراً في ذلك عارفاً باللغة على اختلافها، كما كان على علم غزير بالفرق الإسلامية، ومعرفة ما وقعت فيه من أخطاء، وله في ذلك مؤلفات جلية، وكانت ولادته سنة ٦٩١هـ ووفاته سنة ٧٥١هـ وكان كثير العبادة حتى قال عنه ابن كثير: "لا أعلم في زماننا أكثر عبادة منه" البداية والنهاية لابن كثير ٢٣٥/١٤. وقد ترجم له الإمام الشوكاني ترجمة واسعة، وصفه فيها بأوصافه اللائقة به، وبعلمه وفضله وجهاده، وسرد كثيراً من مؤلفاته. البدر الطالع ١٤٣/٢-١٤٦

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله ابن القيم حقه: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، دار الرسالة.

السيرة والمغازي، وقد كان منهجه في الكتابة عن السيرة منهجاً متفرداً يحقق الهدف الأساس من وراء دراسة السيرة، وهو الهدف التربوي الذي يراد منه تحقيق الأسوة والقدوة برسول الله صلى الله عليه وسلم، في حياته كلها في السلم والحرب على حد سواء، وبهذا جاءت مباحثه في السيرة فريدة في نوعها ذات منهج متميز.

ومن المؤلفات المعاصرة التي نهجت نهج بن القيم رحمه الله في استنباط الدروس والعبر من أحداث السيرة: كتاب السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث^(١)، للدكتور: علي بن محمد محمد الصلابي حيث وفق المؤلف في الحديث عن: "فقه النبي صلى الله عليه وسلم في تربية الأمة وإقامة الدولة شاملاً ومتكاملاً ومتوازناً، وخاضعاً لسنن الله في المجتمعات وإحياء الشعوب وبناء الدول، وكيف تعامل صلى الله عليه وسلم مع هذه السنن في غاية الحكمة وقمة الذكاء، كسنة التدرج، والتدافع، والابتلاء، والأخذ بالأسباب، وتغيير النفوس، وكيف غرس صلى الله عليه وسلم في نفوس أصحابه المنهج الرباني وما يحمله من مفاهيم وقيم وعقائد وتصورات صحيحة عن الله والإنسان"^(٢)، وقد كان هذا المرجع مفيداً وثرّاً في التحليل والاستنباط ويشبهه في هذا كتاب: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم^(٣) لمؤلفه: أحمد إبراهيم الشريف حيث سلسل الأحداث

(١) الصلابي د. محمد علي السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ط ١ دار التوزيع والنشر بالقاهرة .

(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ص ٤.

(٣) الشريف أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، الناشر: دار الفكر العربي.

وحللها بأسلوب راق ومؤثر مع الإشارة إلى الأساليب الإدارية التي تميّزت بها حكومة النبي صلى الله عليه وسلم.

وعلى هذا المنوال جرى أصحاب كتب فقه السيرة الذين ركّزوا على الدروس والعبر من عموم سيرته صلى الله عليه وسلم ومنهم المشايخ: الغزالي والبوطي والغضبان والفهداوي وأمثالهم^(١). وكذلك الكتب التي ركّزت على جانب من جوانب السيرة: تربويًا كان أو عسكريًا: ففي الجانب التربوي كان أبرزها كتابا: د. أحمد فريد وعبد الحميد البلالي^(٢) أمّا في الجانب العسكري فيأتي كتاب الرسول القائد للزعيم الركن: محمود شيت خطاب^(٣) الذي حلّل الغزوات النبوية تحليلًا عسكريًا تخصّصيا قارن فيه قيادة

(١) أنظر: فقه السيرة النبوية، منير الغضبان، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث مكة المكرمة.

فقه السيرة للغزالي، دار القلم، دمشق، سوريا الطبعة الرابعة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
الفقه السياسي للوثائق النبوية، خالد الفهداوي، دار عمار، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م..

في ظلال السيرة النبوية، الهجرة النبوية، الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، د. عبد العزيز الحميدي، دار الدعوة، الإسكندرية
(٢) وقفات تربوية مع السيرة النبوية، أحمد فريد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

وقفات تربوية من السيرة النبوية، عبد الحميد البلالي، المنار، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٣) خطاب محمود شيت، الرسول القائد، منشورات دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة - بغداد الطبعة الثانية.

النبي صَلَّى الله عليه وسلّم مع ما كتّبه المؤلفات العسكرية عن تاريخ القادة العظام وأثبت فيه بالموازن العسكرية الصرفة كيف تميّز النبي القائد صَلَّى الله عليه وسلّم في قيادته للجيش، وخوض المعارك، وفي الجانب العسكري أيضاً تأتي الدراسات المتميزة التي اعتنت بغزوات الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم لاسيما تلك السلسلة الذهبية التي قدّمتها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والتي اتجهت لتحقيق موضوعات مختلفة في جوانب من السيرة النبوية مع التركيز على غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بشكل خاص حيث وجّهت عددا من رسائل الماجستير والدكتوراه^(١) التي قدّمت في الجامعة

(١) من هذه المنظومة: مرويّات غزوة بدر، أحمد باوزير، مكتبة طيبة، الطبعة الأولى

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

مرويّات غزوة أحد، حسين أحمد الباكري، رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية، إشراف، د. أكرم العمري، عام ١٣٩٩هـ.

مرويّات غزوة الخندق، إبراهيم بن محمد المدخلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

مرويّات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع، إبراهيم بن إبراهيم قريبي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

مرويّات غزوة الحديبية، د. حافظ الحكمي، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

مرويّات غزوة حنين وحصار الطائف، إبراهيم بن إبراهيم قريبي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

مرويّات الإمام الزهري في المغازي، محمد بن محمد العواحي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

وقامت الجامعة مشكورة بطبع بعضها، وقد كان لفضيلة الدكتور أكرم ضياء العمري رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة - في تلك الفترة - يدا طولى في ذلك حيث أسهمت هذه السلسلة في العناية بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه وجمع الآثار الواردة فيها وتمحيصها وهي حاجة ملحة في الوقت الحاضر يتمنى كل مسلم غيور أن تتحقق، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وقائمة المراجع على النحو الآتي بعد هذه المقدمة.

• تمهيد في الوصف العام للصفات القيادية للرسول صلى الله عليه وسلم:

القران الكريم عظيم في وصفه و إعجازه ومن ذلك أنه في آية من الآيات الموجزة والجامعة يصف الصفات القيادية للرسول صلى الله عليه وسلم بوصف دقيق و شامل تعرض فيها لأبرز صفاته القيادية فيقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، ويصفه في آية أخرى فيقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، ويقول عنه في آية ثالثة: ﴿قُلْ أَذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾^(٣)، وكفي أن نقف مع الآية الأولى فقط - لشموليتها - لنحلل و ندرس، لنتعلم كيف يجب أن تكون أخلاق و صفات القيادة الأنموذج وأسلوبنا، وفي أي موقع من مواقع المسؤولية، لاسيما في الجانب التربوي منها حيث تتأكد الحاجة إلى ذلك، فأهل التربية هم أولى الناس للإقتداء والتأسي بالتأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم القائد التربوي الأول، وسنبداً بأولى هذه الصفات حسب ترتيب الآية الكريمة السابقة:

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) القلم: ٤.

(٣) التوبة: ٦١.

الصفة الأولى: (رسول من أنفسكم):

في هذه الآية الكريمة نجد أول صفة تجعل القائد مقبولا متبوعا عند أصحابه أن الرسول القائد والمعلم لهم واحد منهم، وليس من خلق آخر أو من طبيعة مختلفة، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾^(١)، قال الألوسي: رحمه الله معنى قوله تعالى ﴿رسول من أنفسكم﴾ أي من جنسكم ومن نسبكم عربي مثلكم.... وقيل الخطاب للبشر على الإطلاق ومعنى كونه صلى الله عليه وسلم من أنفسهم أنه من جنس البشر وقرأ ابن عباس رضي الله عنه وابن محيصن والزهري (من أنفسكم) أفعل تفضيل من النفاسة والمراد الشرف فهو صلى الله عليه وسلم من أنفس العرب^(٢)، وذلك على عكس ما كان يريد الكفار، حيث تمنوه ملكاً أو أن يكون معه قوة خارقة تسهل له أمور الحياة وتوفر لهم كل ما يتخلوه من مطالب أو شهوات.. ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾^(٣)

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) الألوسي: أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي دار الكتب العلمية الطبعة

الأولى دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ بيروت لبنان.

(٣) الإسراء: ٩٠ - ٩٥.

والآيات التي تحدثت عن ذلك كثيرة وقد رد الله عز وجل عليهم، وبين أنه صلى الله عليه وسلم: ﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ولكن ما يزيد على الناس أنه صلى الله عليه وسلم (بَشَرًا رَسُولًا)، (يُوحَى إِلَيَّ)، ولعل في ذلك حكم كثيرة منها ما ذكرناه سابقا: أنه بذلك يكون مناط للقدوة والتأسي، فلا قدوة فيمن تختلف طبيعته عن طبيعة من حوله، كما أن ذلك يجعله أكثر قابلية للتعامل الطبيعي والمريح وغير المتكلف مع أصحابه.

الصفة الثانية: (عزيز عليه ما عنتم):

إن أكثر ما يجعل أي قائد مقبولا من أتباعه هو درجة تفاعله مع مشكلاتهم واهتماماتهم وآلامهم، وأكثر ما يؤلمهم ويجعلهم أقل حماسا وأكثر بروذا ونفورا هو تجاهل القائد لمشكلاتهم وآلامهم وعدم اهتمامه بها، وأن يجعل كل همه منصباً في عملهم وإنتاجيتهم فقط، لذا نجد الدراسات الحديثة تثبت أن القائد المتفاعل اجتماعياً والمؤثر والمتأثر بالآخرين أكثر نجاحاً وقبولا من القائد الذكي حتى وإن كان الأول أقل كفاءة من الثاني، ولعل هذا ما يفسر نجاح رؤساء دول حتى في العصر الحديث حيث نجد المحللين السياسيين يقدمون رؤساء اجتماعيين على نظراء لهم أكثر دهاء وتخطيطا، والسبب الرئيس في ذلك كله هو مقدار ما يتمتع به كل منهم من حضور وتفاعل وذكاء اجتماعي عن نظرائهم ومنافسيهم، وليس لأنهم أفضل.

الصفة الثالثة: (حريص عليكم):

من المهم أن يكون القائد حريصاً على من معه، وأهم من ذلك أن يكون هذا الحرص واضحا وملموسا من جانب هؤلاء الأتباع.

فكما هو معلوم قد يكون القائد حريصاً بالفعل على من معه، لكن لا

يستطيع أن يعبر عن ذلك بالوسائل المناسبة التي تجعل هذا الحرص واصلًا ومفهومًا لأتباعه، كالألب الحريص على أبنائه، إلا أن أسلوبه في التعامل معهم يجعلهم يشعرون أنه ليس حريصًا عليهم، بل إنه ربما يعمل على مضايقتهم وإزعاجهم وتعكير صفوهم!!

ومن هنا فليس مجرد الحرص على المصلحة وحده يكفي، لكن وصول ذلك للمرؤوس والتعبير عنه بوضوح أهم وأفضل؛ لذا فإن وصفه صلى الله عليه وسلم بذلك في القرآن يؤكد على مدى الوضوح الشديد لهذا الحرص. وهذا ما سيأتي توضيحه من خلال المبحثين الآتيين.

• المبحث الأول: الجانب العاطفي والإنساني في قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم:

في زحمة المنافسة والحرص على الانتاجية وتحقيق الأهداف في حال السلم والحرب يهمل كثير من القادة - عن قصد أو غير قصد - الجانب العاطفي^(١) والإنساني مع أتباعهم، مما يفقدهم الحب الحقيقي والطاعة بدافع

(١) العطف لغة: مصدر عطف يعطف عطفًا وعطوفًا، وهو مأخوذ من مادة (ع ط ف) التي تدل على انتشاء وعياج، يقال عطفت الشيء إذا أملتته وانعطف إذا انعاج، ويقال: عطف يعطف (بالكسر) من باب ضرب: وهو الحنان والميل، تقول: عطفت الناقة على ولدها عطفًا إذا حنت عليه ودرّ لبنها، وعطف الله تعالى بقلب السلطان على رعيته إذا جعله عاطفًا رحيماً.

وتقول: عطف عطوفًا يعني مال، واستعطفته: سألته أن يعطف فعطف، وامرأة عطوف: محبة لزوجها حانية على أولادها، وامرأة عطف: لينة هينة ذلول مطواع لا كبر لها.

وقال الراغب: العطف يقال في الشيء إذا ثني أحد طرفيه إلى الآخر كعطف الغصن والوسادة والحبلى، ويستعار للميل والشفقة إذا عدّي ب «على» نحو: عطف عليه، وإذا عدّي ب «عن» يكون على الضدّ نحو عطفته عنه أي أعرضت وصددت. مقييس اللغة (٤/ ٣٥١)، الصحاح (٤/ ١٤٠٥)، ولسان العرب (٥/ ٢٩٩٦ - ٢٩٩٧)، ومفردات الراغب (٣٣٨)، وصطلاحًا: قال ابن أبي جمر: المراد بالتعاطف إنه: إعانة الناس بعضهم بعضًا، كما يعطف الثوب عليه ليقويه. فتح الباري (١٠/ ٤٥٣ - ٤٥٤).

وقال في الفرق بين التراحم والتعاطف والتؤاذ عند شرحه لحديث: «تري المؤمنين

ذاتي، أما الرسول القائد عليه الصلاة والسلام فقد تميزت قيادته بالعطف والرحمة والعلاقة الوثيقة مع أصحابه، إنها علاقة فيها أنبل صور الحب والثقة والوفاء والتقدير، وسنوضح فيما يلي الطبيعة الوالدية لهذه الإدارة، يزينها ثوب من التواضع والرفق بأصحابه، وكيف أنه مع غيرته على محارم الله كان يحترم خصوصيات أصحابه ويحرص على السّتر عليهم، ثم نوضح أن هذه العاطفة والإنسانية يكتنفها توازن محمود بين القوة واللين، ونضج نفسي لا يستخفه انتصار ولا يزعزعه انكسار، وفي النهاية نبين كيف أن النبي القائد صلى الله عليه وسلم صبور يتغافل عن الأخطاء، حكيم يعرف متى يسامح ومتى يحاسب، وكيف أن هذه المحاسبة لا تتنافى - عند تطبيق العقوبات - أن يرحم القائد أولئك المخطئين الذين يتم عليهم تطبيق الأحكام القضائية حسب الشريعة الإسلامية، وسنعرض فيما يلي تفصيل ما تقدّم في الجانب العاطفي والإنساني في قيادته عليه الصلاة والسلام:

١ - القيادة الوالدية الراعية المساعلة:

كان القائد الأنموذج صلى الله عليه وسلم يرى نفسه من أمته بمنزلة الوالد، فالقائد والد، والقيادة شفقة ورحمة. وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول لهم هذا، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول: "إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أَعَلَّمَكُمُ" (١).

في تراحمهم وتواضعهم وتعاطفهم كمثّل الجسد إذا اشتكى منه عضو تدّعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى»، قال رحمه الله: الذي يظهر أنّ التراحم والتواضع والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف: فأما التراحم: فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر. وأما التواضع: فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتراور والتهادي. وأما التعاطف: فالمراد به إعانة بعضهم بعضاً، كما يعطف الثوب عليه ليقويه " فتح الباري (١٠/ ٤٥٤)

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الطهارة باب: كراهية استقبال سننه القبلة عند قضاء الحاجة ٣/١ (٨) وحسنه الألباني.

وقد شملت مظاهر تلك الولاية الكريمة أصحابه صغيرهم وكبيرهم في مراحل حياتهم حتى أنه يستقبل وليدهم ويحنكه ويؤذن في أذنه، وتستمر هذه الرعاية إلى أن يؤدي ديون الميت من رعيته إن لم يترك له قضاء، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتي بالرجل المتوفى عليه الدين فيسأل: "هل ترك لدينه فضلاً" فإن حدث أنه ترك لدينه وفاءً صلى، وإلا قال للمسلمين: "صلوا على صاحبكم"، فلما فتح الله عليه الفتوح قال: "أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي من المؤمنين فترك ديناً فعليّ قضاؤه، ومن ترك مالا فلورثته" (١) لقد نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رعيته، نظر القائد إلى أولاده، في شفقتة ورحمته وشغله الشاغل بهذه الرعية، فهو القائل صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته..." (٢).

ومع أنه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في العمل لرعيته والنصح لهم، فقد دعا من يلي أمور الناس إلى هذا الاجتهاد، ويحذره من غش الرعية أو التقصير في طلب الخير لها، فعن معقل بن يسار المزني: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من عبد يسترعه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٍ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة" وفي رواية: "ما من أمير

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الكفالة، باب الدين ٤/٤٧٧ (٢٢٩٨)، ومواضع أخرى،

ومسلم في كتاب: الفرائض، باب من ترك مالا فلورثته (١٦١٩) ٣/١٢٣٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن ٢/٣٨٠ (٨٩٣)،

ومواضع أخرى، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر وألحقت على الرقيق بالرعية والنهي عن إدخال المسقة عليهم ٣/١٤٥٩ (١٨٢٩).

يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ ^(١) الوالدية الراعية المساعدة من أرقى أنواع الإدارة التي تجعل العلاقة وثيقة ومثمرة بين الرئيس والمرؤوس.

٢ - قيادة متواضعة ورفيعة:

مع كونه صلى الله عليه وسلم أول الناس وقائدهم، إضافة إلى ما هو عليه من حسب ونسب، فإنه كان شديد التواضع لأدنى الناس منزلة قبل أعلامهم. فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ يَنْزِعُ، وَلَا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ، وَلَمْ يَرِ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ ^(٢)

وبعد صلى الله عليه وسلم الرفق من أعظم الأخلاق، ويقول: "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ" ^(٣). وفي رواية: "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ" ^(٤) ويقول: "مَنْ يُحَرِّمَ الرَّفْقَ يُحَرِّمِ الْخَيْرَ" ^(٥).

(١) أخرجه مسلم في السابق وفي كتاب الإيمان، باب: استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار ١٢٥/١ (١٤٢).

(٢) أخرجه الترمذي، في كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب تواضعه من جليسه ٥٦٤/٤ (٢٤٩٠).

(٣) أخرجه البخاري عن عائشة في كتاب اسْتِثَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ باب إذا عَرِضَ الذَّمُّ وَغَيْرُهُ بِسَبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُصْرَخْ ٢٨٠/١٢ (٦٩٢٧).

(٤) أخرجه مسلم عن عائشة في كتاب الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، باب فضْلِ الرَّفْقِ ٢٠٠٤/٤ (٢٥٩٣).

(٥) أخرجه مسلم عن جرير في الموضع السابق (٢٥٩٢).

ويدعو كل حاكم ومسؤول أن يجعل الرفق بالأمة والرعية شعاره، فعن عائشة قالت: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»^(١).

و أمثلة رفاقه صلى الله عليه وسلم بالأمة كثيرة لا يحصرها العدد، وصدق الله العظيم الذي وصفه بالرعوف الرحيم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

٢ - قيادة تراعي الخصوصيات وتعاظف على حرمان الناس؛

مع كون هذا القائد العظيم حريصاً ومهتماً إلا أنه كان يرفض أن يتجسس أو يتنصت على رعيته، أو أن يتقصى أسرارهم، ويرى أن هذا من الخصوصيات التي يجب حمايتها، لا يتجسس ولا يتصيد بل يوجه صلى الله عليه وسلم بتوجيهات حاسمة كل الحسم في صيانة حرمان الناس الخاصة، وتحريم التجسس عليهم أو تتبع عوراتهم، سواء من قبل الأفراد، أو من قبل السلطات الحاكمة^(٢)، فيقول صلى الله عليه وسلم: "مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ يَكْرَهُونَهُ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْأَنْكُ"^(٣) يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٤)، ويرفض صلى الله عليه وسلم أن يبعث عيونه بين رعيته.. فعَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، بَاب فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ وَالْحَثُّ عَلَى الرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَالنَّهْيُ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ ١٤٥٨/٣ (١٨٢٨).

(٢) أنظر: فقه السيرة النبوية، منير الغضبان.

(٣) الْأَنْكُ: أي الرصاص المغلي المذاب من شدة الحرارة.

(٤) أخرجه أحمد (٣٣٨٣)، وصححه ابن حبان (٥٦٨٥).

صلي الله عليه وسلم: "يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَعْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ" (١).

وحتى من بلغه أنه ينافق وأنه يجتمع مع مجلس نفاق أو يجتمع لفعل شيء محرم، كان صلى الله عليه وسلم يرفض أن يبعث إليه ليتجسس عليه، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ حَرْمَلَةٌ بَن زَيْدٍ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْإِيمَانُ هَهُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ، وَالنَّفَاقُ هَهُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ، وَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ إِلَّا قَلِيلًا، فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَدَّدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَسَكَتَ حَرْمَلَةٌ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَرْفِ لِسَانِ حَرْمَلَةٍ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا شَاكِرًا، وَارْزُقْهُ حُبِّي وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّنِي، وَصَيِّرْ أَمْرَهُ إِلَى الْخَيْرِ، فَقَالَ حَرْمَلَةٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي إِخْوَانًا مُنَافِقِينَ كُنْتُ فِيهِمْ رَأْسًا أَفَلَا أَذُكُّكَ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا، مَنْ جَاءَنَا كَمَا جِئْتَنَا اسْتَغْفَرْنَا لَهُ كَمَا اسْتَغْفَرْنَا لَكَ، وَمَنْ أَصْرَأَ عَلَى ذَنْبِهِ فَأَلَّهِ أَوْلَى بِهِ، وَلَا تَخْرِقْ عَلَى أَحَدٍ سِتْرًا" (٢).

وهكذا تلقى عنه أصحابه رضي الله عنهم، فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أنه حرس ليلة مع عمر رضي الله عنه بالمدينة، فبينما هم يمشون شباً لهم سراج في بيت، فانطلقوا يؤمونه (أي يقصدونه) حتى إذا دنوا منه، إذا باب مجاف (أي مغلق) على قوم، لهم فيه أصوات مرتفعة

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب في الغيبة ٢٧٠/٤ (٤٨٨٠)، وأحمد

(١٩٧٧٦).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٤٧٥).

وَلَعَطْتُ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَأَخَذَ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ -: أَتَدْرِي بَيْتَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: هُوَ رِبِيعَةُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، وَهُمْ الْآنَ شُرَبٌ (أَيُ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ) فَمَا تَرَى؟ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَرَى أَنَا قَدْ أَتَيْنَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، نَهَانَا اللَّهُ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾^(١) فَقَدْ تَجَسَّسْنَا! فَانصَرَفَ عُمَرُ عَنْهُمْ وَتَرَكَهُمْ^(٢).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "إِنَّ أَنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمَانًا وَقَرِّبَانًا، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنَّهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ"^(٣).

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي فِرَاسٍ النَّهْدِيِّ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "مَنْ أَظْهَرَ مِنْكُمْ خَيْرًا ظَنَنَّا بِهِ خَيْرًا وَأَحَبَّيْنَاهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ مِنْكُمْ لَنَا شَرًّا ظَنَنَّا بِهِ شَرًّا وَأَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ، سَرَاتِرُكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ" .. الْحَدِيثُ^(٤).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: أَتَى ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقِيلَ: هَذَا فَلَانٌ تَقَطَّرُ لِحْيَتُهُ خَمْرًا. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّا قَدْ نَهَيْنَا عَنْ التَّجَسُّسِ وَلَكِنْ إِنْ يَظْهَرُ لَنَا شَيْءٌ نَأْخُذُ بِهِ"^(٥).

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٢٣١/١٠ (١٨٩٤٣)، وصححه الحاكم ٤/٤١٩ (٨١٣٦) ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب الشُّهَدَاءِ الْعُدُولِ ٥ / (٢٦٤١)

(٤) أخرجه أحمد (٢٨٦) ورجاله ثقات.

(٥) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح في كتاب: الأدب، باب: في النهي عن التجسس ٤/٢٧٢ - ٢٧٣ (٤٨٩٠)، وصححه الحاكم ٤/٤١٨ (٨١٣٥).

هكذا علّم النبي القائد صلى الله عليه وسلم احترام الخصوصيّات والستر على الناس، وحملهم على أحسن المحامل، وبناء الثقة المتبادلة بين الرئيس والمرؤوس.

٤ - العاطفة لا تعني الضعف:

كثيرا ما تفرن العاطفة والإنسانية عند القادة بالضعف والتخاذل وأن الشخصية القيادية القويّة هي التي تتعدّم عندها هذه المعاني السامية ويحلّ محلّها القسوة والبطش وحواجز الخوف والرهبه بين القائد والأتباع أما في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم فقد تقدّم معنا كلام العقاد أن من عبقريته القيادية صلى الله عليه وسلم أنه كان يعطي الموقف والشخصية أنسب ما يصلح لها في مجالها، ومن الشواهد على ذلك موقفه من الأقرع بن حابس الذي استدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم ليوليه مال قبيلته تميم، فلما رأى الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقبل أحد سبطيه استهجن ذلك وقال: ما هذا يا رسول الله إن لي من الأبناء عشرة إذا رأوني تركوا لي الطريق خوفا مني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تلي لنا أمرا، من لا يرحم لا يُرحم".

وبذلك وضع قاعدة مهمة، وهي أن من يتولى أمرا قياديا، أو مسئولية عامة عليه أن يكون رحيما، بالمفهوم الشامل للرحمة. ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قدوة حسنة فقد عفا عن أهل مكة يوم فتحها وقال كلمته الخالدة "اذهبوا فأنتم الطلقاء".

بينما وجدنا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) موقف القوة والحسم في تصرفه مع مسيلمة الكذاب، فقد جاء في كتب السيرة أنه في العام التاسع

من الهجرة جاء "مسيلمة" هذا مع وفد بني حنيفة إلى المدينة، وقادته وقاحته وسوء أدبه إلى أن يردد أمام المسلمين قوله "لو جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته"، ونقل بعض المسلمين للنبي ما يردده مسيلمة، فأشار النبي بيده إلى قطعة من جريد النخل، وقال "اسمع يا مسيلمة: والله لو سألتني هذه القطعة من جريد ما أعطيتها، ولن أتعدى أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله". موقف واضح وصلابة مناسبة أمام "شخصية منحرفة"، تحكمها "عقدة التعاطف" التي تفهم النبوة والرسالة على أنهما ملك وسلطان، وسيادة وهيمنة على الأرض، وليست اجتناء واصطفاء من الله تعالى لعبده، ومن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم هذا يتجلى لنا من الرسول القائد أمران:

الأول: الصراحة في الحق، ومواجهة المنحرفين والطامعين، دون مواربة أو مصانعة أو تفريط في دين الله.

الثانية: تجنب اللجاج والجدل، وخصوصاً إذا تعلق الأمر بقضايا أو حقائق جوهرية واضحة لا تحتمل النقاش^(١).

ه - قائد لا يستخفه انتصار ولا يزعه انكسار:

قليل من القادة من يعيش النضج الانفعالي الذي يجعل القائد يضبط مشاعره عند النصر والقوة فلا يظلم لا يبطش، ويضبط نفسه عند الضعف والهزيمة فلا يضعف ولا يتزلزل وهكذا كان الرسول القائد عليه الصلاة والسلام بحيث لم يزعه ولا يزلزله انكسار لجيشه، ولا يستخفه نصر انتصر فيه، فكثيراً ما انتصر ولكنه لم يعجب بنفسه ولم يغتر

(١) البوطي محمد سعيد رمضان فقه السيرة،، الطبعة الحادية عشرة، دار الفكر، دمشق

سوريا، ١٩٩١م.

بجيشه^(١)، وأعظم انتصار حققه هو نصر فتح مكة، الفتح الأعظم الذي أصبح به حاكم الجزيرة، ودانت له مكة عاصمة الوثنية العربية حينما دخلها فاتحاً منصوراً، بعد خرج منها متخفياً مطارداً، ومع هذا دخل متواضعاً يكاد يضع جبهته على رحل الناقة ساجداً لله، أو أشبه بالساجد، وحينما دخل المسجد الحرام صلى ثماني ركعات لله عز وجل، يسميها بعض العلماء صلاة الفتح، ثمان ركعات لله سبحانه وتعالى، ولم يناد أحد عاش القائد أو يحيى القائد، ولكن كان الهتاف باسم الله لا باسم محمد المنتصر، لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله والله أكبر كانت هذه هي الكلمة التي سادت في ذلك اليوم، ودخل على ابنة عمه أم هانئ بنت أبي طالب وكان بيتها بجوار المسجد وهو الذي خرج منه ليلة الإسراء، دخل عليها فقال هل عندك من شيء يؤكل يا أم هانئ؟ قالت والله يا رسول الله ما عندي إلا خبزاً جاف وخل، فقال: هلميه يا أم هانئ نعم الإدام الخل، محمد الفاتح الأعظم فاتح جزيرة العرب في يوم الفتح ماذا يأكل؟ يأكل خبزاً جافاً مغموساً بالخل، وهو يقول: نعم الإدام الخل، القائد العظيم هو الذي لا يستخفه النصر ولا تكسره هزيمة، وقد رأينا محمد صلى الله عليه وسلم في حال النصر أمّا في حال الانكسار والضعف فقد رأينا محمداً صلى الله عليه

(١) للإستزاده: هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة، أحمد عبد الغني النجولي

الجميل، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

وكذلك: جزولي أحزمي سامعون، الهجرة في القرآن الكريم، مكتبة الرشد الرياض،

الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

وسلم يوم أحد ويوم الخندق صابرا ثابتا صلبا لم يفر لم ينهزم ولم يتزلزل
بحيث ينطبق عليه ما قاله الشاعر:

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاء وثغرك باسم

ففي أحلك الظروف يوم أحد بعد أن خالف الرماة أمره وتركوا أماكنهم
رضي الله عنهم تفرق المسلمون فجمعهم ما استطاع عاد المشركون إلى
قريش و في الطريق فكروا بانهم لم يفعلوا شيء فلا هم قتلوا محمد صلى الله
عليه وسلم ولا هم دخلوا المدينة، وقرروا العودة إلى المدينة ولكن الرسول
القائد صلى الله عليه وسلم في هذه الأثناء كان قد عاد إلى المدينة وجمع
أصحابه - لم يبدأ بالتهرب من المسؤولية و يضع اللوم على الصحابة الذين
أشاروا بالخروج - وأمرهم بالخروج لملاحقة جيش المشركين ليس هذا
فحسب، بل طلب أن لا يخرج معهم إلا من شهد أحدا فماد كانت النتيجة؛
عندما سمع المشركون بهذا تابعوا طريقهم إلى قريش و عسكر الرسول القائد
صلى الله عليه وسلم بالقرب من قريش أياما و ليالي حتى علمت العرب
بذلك، ثم عاد إلى المدينة بعد أن حوّل الهزيمة إلى نصر، لقد معركة أولها
كر وأوسطها فر وختامها كر مما حوّل الهزيمة نصرا!!، وفي أشد الأحوال
يوم الخندق حيث تحزّب الكفر بأنواعه وتجمّع معهم الأعراب والطامعون
والمنافقون وغدر اليهود بالعهود المعقودة معهم، ومع ذلك ثبت الرسول صلى
الله عليه وسلم بكل شجاعة وإيمان حتى انجلت الفلول الغازية لم يضعف ولم
يتزعزع، ولم يتفرّق أصحابه، ولم يتنازل عن رسالته وبادئه بل عاد ليقول
بكل ثقة: "الآن نغزوهم ولا يغزونا"^(١).

(١) البخاري كتاب المغازي برقم (٣٨٢٦).

٦ - قائد صبور يتفاهل عن الأخطاء :

كان الرسول القائد صَلَّى الله عليه وسلم في غاية النبل ودمائة الخلق، حتى إذا أتاه من يسيء الأدب معه، يلقاه بالسماحة والرفق، ويصبر على إساءته، ويدع معاقبته^(١)؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهو يقسم قسمًا أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم فقال: "يا رسول الله.. اعدل"، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "ويلك.. ومن يعدل إن لم أعدل؟! قد خبت وخسرت إن لم أعدل"، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "يا رسول الله.. ائذن لي فيه أضرب عنقه"، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم "دعه" .. الحديث..

وفي رواية أن الرجل قال له: "اتق الله يا محمد!!" فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم "فمن يطع الله إن عصبته؟! أيامني - يعني الله عز وجل - على أهل الأرض ولا تأمنوني"؟! قال: ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم في قتله... الحديث..

وفي رواية أن الرجل قال: "اتق الله"، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم "ويلك .. أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟" إثم ولي الرجل، فقال خالد بن الوليد: "يا رسول الله .. ألا أضرب عنقه؟! قال: "لا؛ لعله أن يكون يصلي" قال خالد: "وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه!"، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "إنني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم" ... الحديث^(٢).

(١) نوح د. سيد محمد، فقه الدعوة الفردية، دار اقرأ، صنعاء.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٧٤٤/٢، ٧٤١.

وحين يصل إليه أن أحد رعيته قد أساء القول فيه، والناقل له من أخص أصحابه الثقات، يذكر نفسه بما أصاب إخوانه من الأنبياء ويصبر، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قسم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قسمة، فقال رجل من الأنصار: "والله.. ما أراد محمد بهذا وجه الله!" فأثبت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فأخبرته، فتمعر وجهه وقال: "رحم الله موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر"^(١).

وفي الوقت الذي ترى فيه القادة يتصيدون الأخطاء و يبحثون عن السقطات، ومن ينقل لهم الهفوات و العبارات المنقولة عن الأتباع كان صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: "لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً؛ فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصد"^(٢).

إن هذه التعامل لا يصدر إلا عن عاملين مهمين هما: ثقة القائد بنفسه وبأتباعه - بعد الله تعالى - والثاني: نفس نبيله محبة للآخرين، تحملهم على أحسن المحامل.

٧ - قائد يعرف متى يعفو ومتى يسامح :

القائد الناجح هو الذي يتعامل مع الأحداث بحكمة ويعطي المواقف والأشخاص التصرف المناسب، فيعرف متى يعفو ويسامح، ومتى يقسو ويشدد^(٣)، وهكذا كان الرسول القائد صلى الله عليه وسلم ففي غزوة الفتح، فتح مكة، اجتمع أهل مكة في المسجد عن بكرة أبيهم ووقف النبي صلى الله

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب: باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه ٦٠٥٩/١٠.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ٦٦٧/٥.

(٣) قاسم د. عون الشريف، نشأة الدولة الإسلامية، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

عليه وسلم يقول لهم يا أهل مكة ما تظنون أنني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، الجبابرة العتاة الذين طالما آذوه وآذوا أصحابه ثلاثة عشر عاماً في مكة وقاتلوه في المدينة ثمانية أعوام وشهروا عليه السيوف وفعلوا به ما فعلوا، اليوم يلين كلامهم، اليوم يتكلمون بلغة الضعيف يقولون: نظن بك خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فماذا قال عليه الصلاة والسلام؟ لقد نسي ذلك كله وقال هذه الكلمة التاريخية الرائعة التي سجلها التاريخ بحروف من ذهب، قال: يا أهل مكة اذهبوا فأنتم الطلقاء. أنتم أحرار (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) قال ما قاله أخوه يوسف من قبل لأخوته حينما آذوه وأهانوه (قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) عفا عن أهل مكة إلا أفراداً معدودين يعتبرون من مجرمي الحرب لم يعف عنهم، لكنه عفا عن الجميع، هذا في هذا الموقف.

ولكنه في موقف آخر لم يعف ولم يسامح بل حاسب وعاقب وذلك في موقفه من بني قريظة الذين نقضوا العهد معه وغدروا به وأسلموه إلى أعدائه في أحلك الظروف وأشدّها يوم الأحزاب يوم أن تجمّع عليه الكفر بأنواعه والنفاق بأشكاله، فلما نجّى الله تعالى رسوله من كيد الأعداء كان أول ما فعل أن حاسب من غدر به ونقض العهد معه ومع ذلك فقد اتبع معهم العدل والإنصاف وهو ما نبيّن من الآتي:

١- يهود بني قريظة طلبوا التحكيم فقبل منهم التحكيم، وطلبوا أن يحكم فيهم حليفهم في الجاهلية سعد بن معاذ فقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وحكم فيهم سعد بن معاذ، ثم نفذ صلى الله عليه وسلم ما حكم به الحكم الذي اختاروه، ولم يعفو عنهم عليه الصلاة والسلام حيث لم تكن المرة الأولى

للإهود في النّقص ونكث العهود، فقد نقضوا قبل ذلك في بني قينقاع، ونقضوا عهده في بني النضير، الذين نزلت فيهم أوائل سورة الحشر، ثم نقض بنوا قريضة حين كانت قريش وغطفان قد أقبلت على المدينة تريد أن تستأصل شأفة المسلمين و تبديد خضرأءهم، فقد كان هدفهم الإبادة والتصفية النهائية للمسلمين، وعليه فقد كانت خيانة بني قريظة خيانة عظمى (بالتعبير الحديث) ولذا لم يغفلها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- الموقف في ذلك الوقت كان مختلفاً عن موقف فتح مكة، موقف فتح مكة كان الرسول قد ثبت أقدامه وانتصر في عدة انتصارات وأصبح الأمر مستتباً له إلى حد كبير أما في حادثة بني قريضة فقد كان الوقت خطيراً على المسلمين والأعداء والأخطار تتربص بهم من كل جانب.

٣- أن القوم غير القوم، فالكريم إذا عفوت عنه اعتبر أنك ملكته بعفوك، وصار أسير إحسان يحفظه لك طول عمره، أما اليهودي فقد أثبتت الأحداث عكس ذلك حيث الغدر والكيد وهذا ما حدث من حيي بن أخطب وآخرين منهم حيث ظلّوا يؤلبون العرب ويثيرونهم ليهاجموا الرسول عليه الصلاة والسلام في عقر داره، ولذلك لم يعفو النبي صلى الله عليه وسلم عن بني قريظة، وكان لابد أن يؤاخذهم بجريمتهم وإلا لبقوا يعيشون في الأرض فساداً كما عاثوا من قبل وكما عاث إخوانهم من قبل^(١).

(١) مرويات غزوة الخندق، إبراهيم بن محمد المدخلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى،

٨ - قائد يأسف لإنزال العقوبة بأحد من رعيته؛

كان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حين يضطر إلى إيقاع العقوبة بمسلم ارتكب خطأ، فإنه يظهر على وجهه الأسف والحزن، فلم تكن عقوباته تشفياً وحقداً وإنما كانت تأديبا وتطهيراً للمخطيء خاصة، وللمجتمع بعامّة^(١)، وكان تطبيق العقوبة يتوازى مع الرأفة والرحمة بهذا المخطيء والرغبة في أن يتوب ويستقيم وأن يعود عضوا صالحا في المجتمع، ففي أول مرة قطع فيها صلى الله عليه وسلم سارقاً كان محل الرأفة والرحمة: فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إني لأذكر أول رجل قطعته رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؛ أتى بسارق فأمر بقطعه، وكأنما أسف وجه رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - قال: قالوا: "يا رسول الله.. كأنك كرهت قطعه!" قال: "وما يمنعني؟!.. لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم!، إنه ينبغي للإمام إذا انتهى إليه حد أن يقيمه، إن الله عز وجل عفوّ يحب العفو،،، وفي رواية قال: "وكانما أسف وجه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: "ذرّ عليه رماد"^(٢).

وهذا ما كان يفعله كبار الصحابة - رضي الله عنهم - من الأئمة الخلفاء؛ فأبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: "لو أخذت شارباً لأحببت أن يستره الله، ولو أخذت سارقاً لأحببت أن يستره الله"^(٣).

ما أعجب هذه الروح عند الرسول القائد عليه الصلاة والسلام حين يجمع بين تعظيم الحرمات وتطبيق الحدود وبين الحرص على استقامة المعاقب والرغبة في إعادته لجادة الصواب.

(١) أحمد د. إبراهيم علي محمد، في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية،، وزارة الأوقاف بدولة قطر الطبعة الأولى، رجب ١٤١٧هـ.

(٢) أخرجه أحمد (٤١٦٨)، ٤١٩ (٣٩٧٧)، وصححه الحاكم ٤/ ٤٢٤ (٨١٥٥).

(٣) أخرجه ابن شعبة ٥/ ٤٧٤ (٢٨٠٨٢)، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٥/ ١٣، وصح ابن حجر إسناده بن أبي شيبة في الإصابة (٢/ ٦٢٩).

• المبحث الثاني: ميزات الرسول القائد (صلى الله عليه وسلم) في الجانب الإداري:

في الجانب الإداري^(١) من القيادة يمتاز الرسول صلى الله عليه وسلم عن غيره من القادة في كل زمان ومكان بميزتين مهمتين: الأولى أنه كان

(١) الإدارة: تعني ممارسة المدير لمظاهر وعناصر وأحوال الإدارة المختلفة (مثل: اتخاذ القرارات، والتخطيط والتنظيم والتحكم والرقابة، وعلاج المشاكل والتعامل مع المشاكل والصعوبات واختيار العاملين والتعامل معهم، والتقدير والحفز، والمحاسبة، والتسويق.. وغيرها) ولعلنا نوجز أبرز ما قيل من تعريفات المتخصصين في هذا الفن بما ذكرناه ومن ذلك:

١- يقول أستاذ الإدارة بيتر دركر: " نستطيع أن نجيب عن سؤالنا: ما هي الإدارة؟ وماذا تفعل بقولنا: إنها أداة متعددة الأغراض تدير العمل وتدير المديرين، وتدير العمل والعمال، وإذا حذفنا إحدى الخصائص لن يكون لدينا إدارة بعد ذلك ولا مؤسسة عمل أو مجتمع صناعي". بيتر دركر: "ممارسة الإدارة The practice of management" ترجمة ونشر مكتبة جرير، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م.

٢- أما كونتر وزميله فقد عرفا الإدارة على النحو التالي: "الإدارة هي تنفيذ أعمال من خلال أشخاص آخرين"

٣- شيلدون: الإدارة وظيفة في الصناعة يتم بموجبها القيام برسم السياسات و التنسيق بين أنشطة الإنتاج والتوزيع و المالية و تصميم الهيكل التنظيمي للمشروع و القيام بأعمال الرقابة النهائية على كافة أعمال التنفيذ. نقلا عن د. سيد الهواري: المدير الفعال دراسة التحليلية لأنماط المديرين مكتبة عين شمس القاهرة ١٩٨٢ م.

٤- وليم هوايت: إن الإدارة فن ينحصر في توجيه و تنسيق و رقابة عدد من الأشخاص لإنجاز عملية محددة أو تحقيق هدف معلوم

William A. Cohen: " The art of the leader" , parentice

٥- ويقول د. إبراهيم المنيف: إن أبسط وأوضح تعريف يمكننا إطلاقه على الإدارة هو أنها: (الوسيلة لتنظيم الجهود المختلفة للأهداف) المنيف إبراهيم (تطور الفكر الإداري المعاصر) دار آفاق الإدارة ط الثانية، وفي ضوء التعريفات السابقة يمكننا أن نقول: إن الإدارة فن يقوم على أربعة عناصر هي: التخطيط، التنظيم، التوجيه، الرقابة.

قائدًا فذا بنى دولة الإسلام وأسسها - بعد توفيق الله تعالى - من دون عون داخلي أو خارجي بل ظل يجمع حوله الأتباع ويرببهم، و كانوا هم الأساس لقيام هذه الدولة المسلمة، والثانية: أن توسّعه ومعاركه كانت للدفاع عن الدين الحق ولحماية حرية نشره في الأرض، لا للعدوان والاحتصاب والاستغلال.

إن غالب القادة العظام قد وجدوا أمما تؤيدهم وقوات جاهزة تساندهم ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن له أمة تؤيده، ولا قوات تسانده، بل على العكس من ذلك عاداه حتى أقرب المقربين إليه عمه وأقاربه! لكنه عمل على نشر دعوته بالإقناع والتربية والتعليم، وعلى صناعة رجال تحملوا أعنف المشقات والصعاب حتى كوّن بهم أمة ذات رسالة واحدة، وهدف واحد، هو التوحيد وإعلاء كلمة الله.

وفي حديثنا عن الجانب الإداري في قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم يمكن تقسيم هذا الجانب في تأسيس وإدارة الدولة المسلمة إلى أربعة أدوار هي: دور الحشد، ودور الدفاع عن العقيدة، ودور الهجوم، ودور التكامل. وذلك بالتقسيم الآتي^(١):

(١) للاستزادة في هذه الأدوار:

البر د. عبد الرحمن، الهجرة النبوية المباركة، دار الكلمة، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

العودة د. سليمان الهجرة الأولى في الإسلام، دار طيبة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

أحمد د. إبراهيم علي محمد، في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، وزارة الأوقاف بدولة قطر الطبعة الأولى، رجب ١٤١٧هـ.

الأسطل علي رضوان أحمد، الوفود في العهد المكي وأثره الإعلامي، دار المنار، الأردن عمان الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١- دور الحشد: وقد بدأ منذ من بعثته إلى هجرته إلى المدينة المنورة واستقراره هناك، وفي هذا الدور اقتصر الرسول صلى الله عليه وسلم على الحوار والإقناع والتبيين: يبشر وينذر ويحاول جاهداً نشر الإسلام، وبذلك كون النواة الأولى لدولة المسلمين، وحشدتهم في المدينة المنورة (بالحجرة) إليها، وعاهد بعض اليهود ليأمن جانبهم عند بدء الصراع مع أعدائه التقليديين.

٢- دور الدفاع: ويبدأ من حين أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم سراياه وقواته للقتال، إلى انسحاب الأحزاب عن المدينة المنورة بعد غزوة الخندق، وبهذا الدور ازداد عدد المسلمين، فاستطاعوا الدفاع عن عقيدتهم ضد أعدائهم الأقوياء.

٣- دور الهجوم: وقد بدأ من بعد غزوة (الخندق) إلى بعد غزوة (حنين)، وبهذا الدور انتشر الإسلام في الجزيرة العربية كلها، وأصبح المسلمون قوة ذات اعتبار وأثر في بلاد العرب، فاستطاعوا التغلب على كل قوة تعرضت للإسلام.

٤- الدور الأخير: دور التكامل: وهو من بعد غزوة (حنين) إلى أن التحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى؛ فقد تكاملت قوات المسلمين بهذا الدور، فشملت شبه الجزيرة العربية كلها، وقد بدأت تحاول نشر الرسالة خارج شبه الجزيرة العربية، فكانت غزوة (تبوك) إيذاناً ببداية الفتوحات الإسلامية وتقويض الأمبراطوريات المجاورة.

وبهذا التطور المنطقي - السابق - تدرج هذا القائد الفذ بقواته من الضعف إلى القوة، ومن الدفاع إلى الهجوم، ومن الهجوم إلى التوسع

والانتشار، ومن هنا يمكن القول أن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الإدارية في جانبها السلمي والحربي تثبت بشكل جازم لا يتطرق إليه الشك، أن انتصاره - بعد توفيق الله تعالى وتسديده - كان إنما لشجاعته الشخصية وسيطرته على المواقف في أحلك الأوقات، ولقراراته السريعة الجازمة في أخطر الظروف، ولعزمه الأكيد في التثبت بأسباب النصر، ولتطبيقه كل مبادئ الإدارة الحكيمة في سلمه وحربه، وسنتحدث عن إدارته صلى الله عليه وسلم من خلال ثلاث عوامل مهمة في النجاح الإداري هي:

١- قائد يُنظر ويُطبق.

٢- قائد يسمع ويشاور.

٣- قائد عادل ومنصف.

أولاً: قائد ينظر ويُطبق؛

ويتلخص مهام القائد هنا في أربعة مهام رئيسة نوجزها في الآتي^(١):

١- تحديد وتشكيل الرؤية أو (صورة المستقبل المنشود): فالقائد يوضح للأتباع الهدف النهائي الذي يسعون لتحقيقه، ويضعه لهم في صورة جميلة للمستقبل المنشود مما يبعث فيهم روح التفاؤل ويجعلهم يصمدون أمام المصاعب، وتشير الدراسات إلى أن تشكيل الرؤية هي أهم عناصر القيادة

(١) أنظر في هذا الموضوع:

البكري د. أحمد ماهر الإدارة وفعاليتها في ضوء الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة ونشر الإكسندري ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧.

البرعي د. محمد بن عبدالله مبادئ الإدارة والقيادة في الإسلام دراسة مقارنة إصدار نادي المنطقة الشرقية الأدبي السعودية الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

التحويلية، الذي استخدمه الرسول عليه الصلاة والسلام في قيادته، إذ كان صلى الله عليه وسلم دائم التذكير بالآخرة والفوز بجنة الله تعالى وبمرضاته وهي الرؤية النهائية للمسلمين، وهو ما كان الرسول القائد عليه الصلاة والسلام يحث المسلمين عليه في أكثر من مناسبة بقوله: "قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض"^(١) إن هذه الرؤية هي البوصلة والموجه للأتباع في مسيرتهم نحو الهدف الذي حددته المنظمة.

٢- إيصال الرؤية للأتباع: إن القائد الفعال هو القادر على إيصال الرؤية للأتباع بطريقة عاطفية مقنعة وواضحة، تجعلهم يؤمنون بها ويتحمسون لها ويندفعون للعمل على تحقيقها والتضحية من أجلها، وقد نجح النبي القائد في هذا الجانب حتى صار أتباعه يعيشون هذه الرؤية وينقلونها إلى غيرهم، فهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو الشاب المترف بمكة والذي لم يتعود تحمل تبعه أو مسؤولية، يتشرب هذه الرسالة ويتحمل المشاق في سبيلها ويكون أول موفد يرسله الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة فينقل لهم رسالة هذا الدين حتى أدخل الإسلام في مدة وجيزة إلى كل بيت من بيوت المدينة، وقبله كان جعفر بن أبي طالب يخاطب ملك الحبشة ويقنعه بهذه الرسالة حتى تحول إليها (النجاشي) على الرغم من ضعف المسلمين وقوة أعدائهم في ذلك الوقت، كان ذلك في البداية، ومن بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام أتت دول الإسلام المتعددة لتنتقل هذه الرؤية إلى مشارق الأرض ومغاربها.

٣- تطبيق الرؤية: القائد الذي يسعى للحصول على احترام الأتباع

(١) صفة الصفوة (١/٤٨٨)

وتفاعلهم معه لا يكتفي بشرح الرؤية بل يعيشها ويطبقها في حياته وعلى أهل بيته، وهكذا كان صلى الله عليه وسلم؛ حيث كان يؤمهم في الشعائر و يقودهم في الجهاد، يجوع كما يجوعون ويتعب كما يتعبون، كان يعيش بين الأتباع ويتأكد من تطابق كل الأعمال مع هذه الرؤية والقيم والمبادئ التي علمها لهم.

٤- رفع التزام الأتباع تجاه الرؤية: بعد أن يحدد القائد الرؤية ويوصلها لأتباعه ويطبقها على نفسه تصبح مهمته زيادة التزام أتباعه بها، ويتم ذلك عبر التشجيع والتذكير وإشراك الأتباع في تشكيل الرؤية واتخاذ القرار، وعبر كونه القدوة الصالحة التي يكون لها دور كبير في تحفيز الأتباع على الالتزام بالأهداف والرؤى المنظمة، وتكون القيادة التحويلية أكثر فعالية عند تأسيس المنظمات فترات الانتقال والتغيير والتحول المصائب والكوارث والأزمات.

ثانياً: قائد حريص على الشورى وحرية الرأي والتعبير:

في الوقت الذي يرى فيه كثير من القادة مبدأ الشورى ضعفاً وتنازلاً وتقليلاً من هيبة القائد أمام أتباعه، كان الرسول القائد عليه الصلاة والسلام يحرص اشد الحرص على مشورة أصحابه وأخذ رأيهم، حتى وصفه أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: "ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم"^(١) ففي الشورى تقدير للأتباع، واحترام لرأيهم، وزيادة في انتمائهم، وإشراك لهم في مآل القرارات

(١) الحديث أخرجه أحمد (١٨٩٢٨) وأخرجه الترمذي كلام أبي هريرة في كتاب الجهاد: باب ما جاء في المشورة ٤/١٨٦، عقب ذكر المشورة في أسرى بدر (١٧١).

ونتاائجها، كما أن فيها تنويرا للقائد وزيادة في البصيرة واستفادة من معلومات الأتباع وخبراتهم^(١)، وهو بهذا يطبق ما جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^(٢) ولم تكن هذه الشورى صورة بلا حقيقة، ولا مجاملة للأتباع، ولا تمثيلا لكسب رضاهم، بل كانت شورى حقيقية يتعامل معها النبي صلى الله عليه وسلم بكل شفافية وصراحة وتقدير، و يحملها محمل الجد، بل ربما أدت الشورى - كما في غزوة أحد - إلى الخروج للقاء العدو خارج المدينة على خلاف رغبته وتقديره للنتائج صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، حتى أن المنافقين قالوا لما انتهت المعركة إلى ما انتهت إليه بسبب مخالفة الرماة أمره صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾^(٣)، فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تأكيداً لمبدأ الشورى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٤) إلزاماً للنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بالشورى على الرغم مما حدث، بل يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: "لو اجتمعتما في مشورة ما خالفكما"^(٥).

(١) في موضوع الشورى وأثرها يعاد إلى:

الصلابي د. محمد علي السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ط ١ دار التوزيع والنشر بالقاهرة .

الشريف أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، الناشر: دار الفكر العربي.

(٢) الشورى: الآية ٣٨.

(٣) آل عمران: من الآية ١٦٨.

(٤) آل عمران: من الآية ١٥٩.

(٥) أخرجه أحمد ١٧٩٩٤.

وقد مارس صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم هذه الشورى في مختلف القضايا الكبرى والصغرى التي تهم الأمة، ومن أمثلة ذلك ما حصل في الحديبية؛ فعن المسور بن محزمة ومروان بن الحكم يصدّق كل واحدٍ منهما حديث صاحبه، قالاً: خرج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم زمان الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، حتى إذا كانوا بذى الحليفة قلّد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الهذّي وأشعره وأحرم بالعمرة، وبعث بين يديه عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش وسار رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريب من عسفان أتاه عينه الخزاعي فقال: "إني قد تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد جمعوا الأحابش، وجمعوا لك جموعاً، وهم مقاتلون وصادوك عن البيت"، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "أشيروا علي، أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فإن قعدوا قعدوا موتورين، وإن يحنّون، تكن عنقاً قطعها الله، أو ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟"، فقال أبو بكر: الله ورسوله أعلم، "يا نبي الله.. إنما جئنا معتمرين، ولم نجئ نقاتل أحداً، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه"، فقال النبي - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - : "فروحو إذا" (١).

لقد التزم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بنتائج هذه الشورى وإن خالفت رأيه، كما في المثالين السابقين، وفي موقف آخر (٢) نراه يتراجع

(١) مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٨ / ص ٥٠٦)

(٢) في ظلال السيرة النبوية، الهجرة النبوية، الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس، دار

الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

عن رأيه لأهل الاختصاص فيما هو من اختصاصهم، و يأخذ برأيهم، ولم يجعل رأيه ملزماً لهم فيما هو من شئون الحياة الخاضعة لخبرات الناس وتطورات الأحوال، كالزراعات والصناعات ونحوها، مما يكون رأيه فيها على سبيل الظن، لا على سبيل التبليغ وبيان الأحكام الشرعية، كما حصل في قصة تلقيح النخل، فعن طلحة رضي الله عنه قال: "مررت مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - يقوم على رعوس النخل فقال: "ما يصنع هؤلاء؟" فقالوا: "يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح"، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "ما أظن يغني ذلك شيئاً" قال: فأخبروه بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بذلك، فقال: "إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه؛ فإنني إنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثكم عن الله شيئاً فخذوا به؛ فإنني لن أكذب على الله عز وجل"^(١) وحتى في أموره الخاصة وأمور بيته، نراه يستشير أصحابه إذا بلغت الأمور حداً معيناً كما حصل في قصة الإفك لما قال المرجفون ما قالوا في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، استشار الصحابة في الأمر، وقال - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "أشيروا علي في أناس.. أبئوا أهلي؟"^(٢).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معاش الدنيا على سبيل الرأي ٣ / ١٨٣٥ (٢٣٦١).

(٢) أي عابوا أو اتهموا

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ٨ / ٤٨٧ (٤٧٥٧)، ومسلم في كتاب التوبة، باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ٤ / ٢١٣٨ (٢٧٧٠).

فإذا كان النبي المعصوم الذي يتلقى الوحي من الله مأموراً بأن يشاور أمته، وأن يشاور من حوله، فكيف بمن هو دونه؟! كما كان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يعد الحرية في التعبير عن الرأي مدخل الإصلاح الناجح الذي جاءت بها رسالته المباركة، وكان يستعمل الحجة لا الإكراه في إقناع واستمالة المخالفين، ويبشّر الأمة التي تتخذ من خيارها أمراءها وتجعل أمرها شورى بينها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأموركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها"^(١).

وعلى هذا ربّى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أصحابه، فلما تولّوا أمر الناس من بعده جعلوه قدوتهم في ذلك، فعزّوا وسعدوا وأعزّوا أمتهم ودينهم؛ فهذا عمر رضي الله عنه كان حينما يعطي عماله، أي موظفيه الذين سيتولون أمور الناس، خطاب التكاليف.. يقول لهم: "أيها الناس.. إن الله عظم حقه فوق خلقه"، ثم يقول: "إني لم أبعثكم أمراء ولا جبابرة، ولكن بعثتكم أئمة الهدى يُقَدِّدُ بكم، فلا تمنعوا الناس حقوقهم فتظلوهم، وكان رضي الله عنه يوضح لعماله وأمرائه أنهم ذاهبون لإصلاح حوال الناس ومساعدة الرعية، ثم يقول رضي الله عنه: "أما والله، لا يأتيني أحد برجل ظلمه أو أخذ حقه، إلا وجعلت له القصاص منه"^(٢).

وكان رضي الله عنه يقول للرعية من جميع الأقطار: "ألا إني والله ما

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن باب.. ٤ / ٤٥٩ (٢٢٦٦).

(٢) أخرجه أبو يوسف القاضي في كتاب الخراج.

أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم؛ فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلي، فو الذي نفسي بيده إذا لأقصته منه" فوثب له عمرو بن العاص فقال: "يا أمير المؤمنين.. أورايت إن كان رجل من المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته.. أئنك لمقتصة منه؟ قال: "إي والذي نفس عمر بيده إذا لأقصته منه، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يُقص من نفسه، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تجمروهم^(١) فتقتلهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم"^(٢).

هذا هو التطبيق الصحيح للشورى من الرسول القائد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولا بد في نهاية الحديث عن هذه الشورى لابد أن نذكر حادثة مهمة تبين لنا كيف أن القادة في وقت محمد صلى الله عليه وسلم على مستوى القبائل داخل الجزيرة العربية - كقبيلة قريش - أو خارجيا على مستوى الأمبراطوريات الفارسية والرومية كان نهجهم الاستبداد وإغلاق المنافذ على كل رأي مخالف للقائد المتفرد بقراراته و مصير شعبه، ونسوق مثلا للمقارنة بين الرسول القائد صلى الله عليه وسلم وبين قائد منافس في المعسكر الآخر يقود جيشا مجهزا بعدد أكبر، لنبيين النظرة السليمة للشورى عند القادة الناجحين والنظرة السلبية للشورى عند القادة المغرورين والمتبجحين، الذين يزدرون أتباعهم ويغلقون آذانهم عن سماع آرائهم، لينفردوا بالرأي وحدهم على طريقة فرعون المستبد ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾^(٣).

(١) أي لا تحبسوهم في الرباط والثغور عن العودة لأهلهم.

(٢) أخرجه أحمد (٢٨٦) ورجاله ثقات.

(٣) غافر: من الآية ٢٩

وهذا الموقف هو ما حصل في غزوة بدر^(١)، حيث نرى قائد المعسكر القرشي (أبي جهل الحكم بن هشام) يستبدّ و يحتقر آراء أتباعه، في الوقت الذي نرى فيه الرسول القائد صلى الله عليه وسلم يطلب الشورى ويستمع لها بقلب محب ودود، بل و يبني قراراته تبعاً لها فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: كنا يوم بدر، كل ثلاثة على بعير، فكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: فكانت إذا جاءت عقبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا: نحن نمشي عنك قال: " ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكما" ومضى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يستشير الناس، فكان مما قاله المقداد بن عمرو "يا رسول الله امض بأمر الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون..." وعن الأنصار قال سعد بن معاذ: "... إنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به حق، فأعطيناك موثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة، فامض يا نبي الله لما أردت، فالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك مابقي منا رجل، وصل من شئت، واقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت..." كما أخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) كذلك برأي الحباب بن المنذر الذي قال " انطلق بنا إلى أدنى ماء إلى

(١) للإستزادة في تحليل مواقف هذه الغزوة العظيمة: الحميدي د. عبد العزيز التاريخ

الإسلامي مواقف وعبر، دار الدعوة، الإسكندرية

باوزير أحمد، مرويّات غزوة بدر، مكتبة طيبة، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

القوم... فيها قلب عذب الماء كثيره ثم نبني عليه حوضا فنقذ فيه الأنبياء فنشرب ونقاتل، ونغور^(١) ما سواها من القلب، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): "يا حباب أشرت بالرأي"^(٢) ونفذ ما رأى.

فنحن أمام قائد يأخذ نفسه بالعدل والشورى، ويؤمن جنوده من إبداء ما يرون... إنها شورى حقيقية وليست شورى زائفة أو نظرية.

ثم لننظر الآن إلى قيادة من نوع آخر تتمثل في أبي جهل، الذي كان مصرا على القتال مع أن بعض عقلاء قومه نصحوه بالرجوع إذ لا داعي للقتال بعد أن أفلتت العير (قافلة التجارة) من يد محمد وأصحابه. فزجرهم، وتحداهم، وسخر منهم.

فرفض نصيحة عتبة بن ربيعة بالرجوع إذ لا مبرر للقتال. وخطب عتبة في قريش قائلا "يا معشر قريش، إنكم والله ما تصنعون شيئا بأن تلقوا محمدا وأصحابه، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه، أو ابن خاله، أو رجلا من عشيرته، فارجعوا، وخلوا بين محمد وسائر العرب، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألكم ولم تعرّضوا منه ما تريدون".

وأرسل إليه أبو سفيان ومن خرج معه للقتال "إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم قد نجاها الله فارجعوا".

وأحدث إصراره الأحمق على القتال شرخا في جيشه، فقد انسحب بنو

(١) أي نكسو بالتراب

(٢) مرويات غزوة بدر، ص ١٦٥، قال المؤلف: قصة الحباب تتقوى وترتفع إلى درجة الحسن.

زهرة فلم يشتركوا في القتال، استجابة لتوجيه الأخنس بن شريق، وكان منطقته هو منطق أبي سفيان: لقد نجى الله أموالكم ... فلا تسمعوا لأبي جهل. لم يفتح أبوجهل صدره لهذه الأصوات . وجاء رده في قوله بلهجة استعلاء وغرور "لا والله لا نرجع حتى نرد بدرا، فنقيم عليه ثلاثا، فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونُسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، فما يزال العرب يسمعون بنا، وبمسيرنا، وبجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبد الدهر بعدها، فامضوا " ثم قال وهو يتفجر غرورا:

ما تنقم الحربُ العوانُ مني بازل عامين حديث سني

لمثل هذا ولدتني أُمي

لقد كان أبو جهل مثالا للقائد المغرور، الذي لا يحسن تقدير المواقف، وكان مستبدا برأيه، ولم يفتح أذنيه للرأي الآخر، فنزل المعركة وبينه وبين جنوده جدار من عدم الارتياح وفقد الثقة، أي فاصل نفسي سميك. وكان قائدا أحمق لا يعتبر الحرب إلا نوعا من الاستعلاء، والمظهرية الدعائية. ونتيجة بدر معروفة، فكان مصرع أبي جهل على يد غلامين هما معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ بن عفراء . وبقيّة النتائج تتلخص فيما يأتي:

- أ- استشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً .
- ب- غنم المسلمون غنائم كثيرة .
- ج- قُتل من المشركين سبعون . وأسر منهم سبعون .
- د- بعد النصر عرف المشركون وكل العرب وأهل الأديان الأخرى أن المسلمين أصبحوا قوة .. كبرى مهيبة الجناح.

وما تقدم نرى كيف أنه بالقيادة الرشيدة الآخذة بالرأي والمشورة انتصر

الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وبالقيادة الغبية الحمقاء انكسر المشركون انكسارا شديدا، وهزموا هزيمة نكراء. وصدق الله تعالى إذ قال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾^(١)

ثالثا: قائد عادل ومنصف:

من أهم الصفات التي تبني الدول بناء سليما وناجحا، و تربط بين الراعي والرعية وتورثهم حالة الرضاء والانسجام بين القائد وأتباعه العدل^(٢) والإنصاف وسنعرض فيما يلي للقائد العظيم محمد صلى الله عليه وسلم وكيف كان يعدل في الرعية، ثم كيف كان ينصف من نفسه ومن

(١) آل عمران ١٢٣

(٢) العدل لغة: مصدر عدل يعدل عدلا وهو مأخوذ من مادة (ع د ل) التي تدل - كما يقول ابن فارس - على معنيين متقابلين: أحدهما يدل على الاستواء، والآخر على اعوجاج، ويرجع لفظ العدل هنا إلى المعنى الأول، وإذا كان العدل مصدرا فمعناه: خلاف الجور وهو ما قام في النفوس أنه مستقيم، ويرادف العدل (في معناه المصدري) العدالة والعدولة والمعدلة يقال: بسط الوالي عدله ومعدلته ومعدلته بمعنى، وفلان من أهل المعدلة أي من أهل العدل، وتعديل الشهود أن تقول إنهم عدول، والعدل والعدل والعديل سواء أي النظير والمثل، وقيل هو المثل وليس بالنظير عنه وفي التنزيل أو عدل ذلك صياما (المائدة/ ٩٥)، والعدل بالفتح أصله مصدر قولك: عدلت بهذا عدلا تجعله اسما للمثل، لتفرق بينه وبين عدل المتاع، وقال الراغب: العدل (بالفتح) والعدل (بالكسر) يتقاربان، لكن العدل يستعمل فيما يدرك بالبصيرة كالأحكام، والعدل والعديل فيما يدرك بالحاسة كالموزونات والمعدودات والمكيلات، وقد فرق سيبويه بين العدل والعديل فقال: العديل من عادلك من الناس، والعدل لا يكون إلا للمتاع خاصد. مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٢٤٦)، والصحاح (٥/ ١٧٦٠)، ولسان العرب (٥/ ٢٨٣٨)، ومفردات الراغب (٣٢٥).
العدل اصطلاحا: هو فصل الحكومة على ما في كتاب الله - سبحانه وتعالى - وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا الحكم بالرأي المجرد. فتح القدير (١/ ٤٨٠). وقيل: بذل الحقوق الواجبة وتسوية المستحقين في حقوقهم. الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٢٥٣). وقال ابن حزم: هو أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه. مداواة النفوس (٨١). وقال الجرجاني: العدل الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط. والعدالة في الشريعة: عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب مما هو محظور دينا. التعريفات للجرجاني (١٥٣).

المقربين إليه، وهذه الصفة سهلة في القول والإدعاء لكنها صعبة عند الفعل والتطبيق، فليس من السهل أبداً أن يتنازل القائد عن امتيازاته ومصالحه الشخصية وهو يملك القرار بيده، والأمور ميسرة أمامه ليمنح نفسه ومن يحب ن أهله والمقربين له أفضل الصلاحيات والامتيازات، التي تجعلهم يعيشون بمستوى أفضل ومدّخرات أعلى، بعيدين عن أن تطبق عليهم الأنظمة والقوانين، أو تطالهم يد المراقبة والمحاسبة، لكن محمداً عليه الصلاة والسلام جعل نفسه واحداً من الأمة، وجعل أهله والمقربين إليه أفراداً عاديين لهم ما للناس، وعليهم ما عليهم، بل ربما أثر غيرهم عليهم لكونهم أحوج وأفقر وسنذكر عدداً من الأدلة على ذلك، ففي المثال الأول نراه عليه الصلاة والسلام لم يخضع لحاجة أقرب المقربين إليه وهما ابن عمه علي بن أبي طالب وزوجه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، حيث نراه لا يحابي في الحق ولداً ولا بنتاً، ولا حميماً ولا قريباً، ولا كبيراً ولا عظيمًا، بل الأمة كلها عنده سواء، ولا يعطي أعزَّ أهله قبل أن يعطي عموم الأمة من العطاء؛ فعن أم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب أنها قالت: "أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم علي وآله وصحبه وسلم سبباً، فذهبت أنا وأختي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشكلنا إليه ما نحن فيه، وسألناه أن يأمر لنا بشيء من السبي؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سبفكن يتامى بدر، لكن سأدلكن على ما هو خير لكن من ذلك: تكبرن الله على إثر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين تكبيرة، وثلاثاً وثلاثين تسبيحة، وثلاثاً وثلاثين تحميدة، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"، قال عياش (أحد الرواة): وهما ابنتا عم النبي صلى الله عليه وسلم علي وآله وصحبه وسلم^(١).

(١) أخرجه البخاري في آخر كتاب: الأنبياء ٦/ ٥١٣ (٣٤٧٥) وغيره، ومسلم في كتاب: الحدود، باب: قطع السارق الشريف وغيره ٣/ ١٣١٥ (١٦٨٨).

وفي حديث آخر نرى الرسول القائد صلى الله عليه وسلم لا يلين أمام حاجة ابنته وأعز الناس عليه وأحبهم إلى قلبه، ويقدم عليها أهل الصفة من فقراء المسلمين؛ فعن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجه فاطمة بعث معه بخميلة ووسادة من أتم حشوها ليفاً، ورحبتين وسقاء وجرتين، فقال علي لفاطمة رضي الله عنهما: "والله لقد سنوت^(١) حتى لقد اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بسبتي، فاذهبي فاستخدميه"^(٢) فقالت: "وأنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي"^(٣)، فأنت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقال: "ما جاء بك أي بنية؟"، قالت: "جئت لأسلم عليك"، واستحييت أن تسأله ورجعت، فقال: "ما فعلت؟" قالت: "استحييت أن أسأله"، فأتيناه جميعاً، فقال علي رضي الله عنه: "يا رسول الله.. والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري"، وقالت فاطمة رضي الله عنها: "قد طحنت حتى مجلت يداي، وقد جاءك الله بسبي وسعة، فأخدمنا"^(٤)، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم" فرجعاً^(٥).

ولا يميز صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بين أهله ورعيته في تطبيق الحدود الشرعية، بل يعد مثل هذا التمييز من أسباب هلاك الأمم؛ فعن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت،

(١) استقيت الماء للناس بالأجرة.

(٢) أي اطلبي منه أن يعطيك خادماً.

(٣) أي: نزع جلدها.

(٤) أي: أعطنا عبداً يخدمنا.

(٥) أخرجه أحمد (٨٣٨) بسند حسن، وأصل الحديث في الصحيحين.

فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟! فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟!، فكلّمه أسامة؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "أنشفع في حدّ من حدود الله؟!"، ثم قام فاخترط، ثم قال: "إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشرف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله .. لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"^(١).

أليس هو الذي يرغب في العدل ويحض عليه ويعدّ العادلين المقسطين بالجلوس على منابر النور عن يمين الرحمن؟!، فيقول: "إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عزّ جل، وكلتا يديه يمين؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا"^(٢).

ومن كمال اهتمامه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بالضعفاء وذوي الحاجات أنه بنى في مسجده الصُّفَّة التي كانت مأوى الغرباء والفقراء ومن لا أهل له ولا مال، وكانت الصفة بجانب بيوته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وكان النازلون فيها ضيوفه وضيوف المسلمين، كان صلى الله عليه وسلم يتعاهدهم قبل نومه، وقَلَمًا تناول طعامًا أو شرابًا من غير أن يشركهم فيه، بل ربّما كان يطعمهم ويسقيهم قبل أن يأخذ حظه صلى الله عليه

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الخراج والإمارة والفِئء، باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذوي القربى ٣/ ١٥٠ (٢٩٨٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم ٣/ ١٤٥٨ (١٨٢٧).

وعلى آله وصحبه وسلم^(١). وهنا نسوق نموذجًا واحدًا من اهتمامه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بهذه الفئة الكريمة؛ فعن مجاهد أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول: الله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمرّ ولم يفعل، ثم مرّ بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمرّ فلم يفعل، ثم مرّ بي أبو القاسم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فتبسّم حين رأيته وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال: "يا أبا هريرة قلت: 'لبيك يا رسول الله' قال: 'الحق'، ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي، فدخل فوجد لبنًا في قدح فقال: 'من أين هذا اللبن؟' قالوا: أهده فلان أو فلانة: قال: 'أبا هريرة قلت: 'لبيك يا رسول الله' قال: 'الحق' إلى أهل الصفة فادعهم لي"، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام؛ لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد؛ إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها؛ فسأعني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟! كنت أحقّ أنا أن أصيب من هذا اللبن شربةً أتقوى بها، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن؟! ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بُدّ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا، فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: "يا أبا هريرة قلت: 'لبيك يا رسول الله'، قال: 'خذ فأعطهم'، قال: 'فأخذت القدح فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى،

(١) دويدار أمين، صور من حياة الرسول، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

ثم يرد عليّ القدر فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليّ القدر فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليّ القدر، حتى انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدر فوضعه على يده، فنظر إليّ فتبسم فقال: "أبا هر" قلت: "لبيك يا رسول الله"، قال: "بقيت أنا وأنت"، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: "أعد فاشرب" فقعدت فشربت، فقال: "اشرب" فشربت، فما زال يقول: "اشرب" حتى قلت: "لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلماً"، قال: "فأرني" فأعطيته القدر، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة^(١).

وكما أوصى صلى الله عليه وسلم بإنصاف المرء أخاه في النسب أو الدين - وهذا قد يكون أمراً معقولاً تقره الطبائع السليمة والفطر النقية - أما إنصاف العدو وتبرئة ساحته مع مخالفته لنا في الدين فهذا ما لا يستطيعه إلا من تربى على مائدة الإسلام وتشبع بروح العدل والإنصاف التي جاء بها القرآن، في تفسير قول الله تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾^(٢)، يتلخص سبب النزول في "أن طعمة ابن أبيرق سرق درعا في جراب فيه دقيق لقتادة بن النعمان، وخبأها عند يهودي، فحلف طعمة مالي بها علم، فاتبعوا أثر الدقيق إلى دار اليهودي، فقال اليهودي: دفعها إليّ

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ١١ / ٢٨١ (٦٤٥٢)، والترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، باب رقم (٣٦) // ٥٥٩ / ٤ (٢٤٧٧)
(٢) النساء: ١٠٥.

طعمة" (١) فلمّا همّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بالقضاء في هذه المسألة نزلت الآيات الكريمة (٢) مبرّرة ساحة هذا اليهودي ومنصفة.

يقول أحد الكتاب المعاصرين معلقاً على هذه الواقعة: يا لله! إنه الإسلام! الإسلام وحده في تاريخ البشرية كلّ. وغير الإسلام لم يكن ضميره ليتحرك لتبرئة متهم ينتمي إلى قوم بينه وبينهم كلّ ذلك العداء. ألا إنها القمّة السّامقة التي لا يقيمها ابتداء إلّا الإسلام، ولا يرقاها إلّا المسلمون في كلّ التاريخ.

لقد كانت كلّ الظروف "مشجّعة" على اتّهام ذلك اليهودي وتبرئة ذلك المنافق الذي ينتمي ولو شكلاً إلى الإسلام!.

فالعداوة بين المسلمين واليهود قائمة في المدينة، وكيد اليهود للمسلمين قائم واضح للعيان.

إلّا أن الإسلام ما جاء ليتسرّ على انحرافات البشرية أو يتسامح مع شيء منها! وما جاء ليحاري الجاهليّات فيما تقع فيه من انحراف. وإنّما جاء لينشأ الإنسان الصّالح في الأرض.

إنّها ليست حادثاً عارضاً يمرّ فينسى، إنّها درس هائل في التّربية على الأفق الأعلى لا يقدّمه إلّا الإسلام، ولا يقدر عليه إلّا المسلمون. وإنّه لدرس في التّطبيق العمليّ للإنصاف الإلهيّ والعدل الرّبّانيّ الذي لم تعرفه أمة في التاريخ، إلّا الأمة التي ربّاه القرآن الكريم. تسع آيات كريمة تنزل لكشف ذلك المنافق الذي انضمّ إلى المشركين بعد فضحه، ولتبرئة ساحة ذلك اليهودي، وما كان الإسلام ليتألّف قلب المنافق لأنّه يحمل اسماً مسلماً على

(١) تفسير البحر المحيط (٣/ ٣٥٨).

(٢) وهي الآيات ١٠٥ - ١١٣ من سورة (النساء).

حساب الإنصاف والعدل الذي يريد إقامتهما في الأرض نبراسا لكل البشرية .. لقد ذهب ابن أبيرق مع الشيطان، وبقي ذلك الدرس الربّاني الخالد درسا وعاء المسلمون وحفظوه، لتتعلّمه البشرية منهم يوم تفيء إلى رشدّها^(١). وعن المستورد بن شدّاد القرشيّ أنّه حدّث عن عمرو بن العاص فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "تقوم الساعة والروم أكثر الناس".

فقال عمرو: أبصر ما تقول، قال: أقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لئن قلت ذاك إنّ فيهم لخصالا أربعا: إنّهم أحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرّة بعد فرّة، وخيرهم لمسكين ويّتم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك". فانظر إلى إنصاف عمرو وذكره ما يعلمه من الخصال الحسنة للروم، مع أنّنا لا نشكّ في براعته منهم وعداوته لهم.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة إلى خيبر ليخرص لهم الثمار، فأرادوا أن يرشوه، فقال عبد الله: "يا معشر اليهود، أنتم أبغض الخلق إليّ، قتلتم أنبياء الله - عزّ وجلّ -، وكذبتم على الله، وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم. فقال اليهود: بهذا قامت السموات والأرض"^(٢).

النتائج التي تحققت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

بالعاطفة والإنسانية وبالإدارة الناجحة - بعد توفيق الله تعالى - تحقّقت

(١) دراسات قرآنية (٤٦٦ - ٤٦٩) بتصرف وإيجاز.

(٢) الحديث أخرجه أحمد (٣/ ٣٦٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٢١): ورجاله رجال الصحيح، إلا أن أبا الزبير مدلس وقد عنعنه، وللحديث شواهد في موطأ مالك (٤٣٩)، وأبي داود (٣٤٧)، والظاهر أن مجموع الأحاديث يحدث منها قوة تدل على أن له أصلا.

لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَتَائِجُ كَبِيرَةٌ فِي زَمَنِ يَسِيرٍ كَانَ مِنْ أَهْمِّهَا تَغْيِيرُ النُّفُوسِ وَالْعُقُولِ وَبِنَاءُ نَوَاةٍ لَأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ سَادَتْ قُرُونًا عَدِيدَةً، وَغَيَّرَتْ أُمَّةَ الْعَرَبِ مِنْ أُمَّةٍ ضَعِيفَةٍ لَا يُؤْبَهُ لَهَا، إِلَى أُمَّةٍ إِمْتَدَّ سُلْطَانُهَا عِبْرَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَعَلْنَا نَوْجِزُ أَبْرَزَ مَا تَحَقَّقَ فِي عَشْرِ سَنَوَاتٍ مِنْذُ هَجْرَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى مَوْتِهِ فِيمَا يَلِي :

١- بِنَاءُ مَجْتَمَعٍ إِسْلَامِيٍّ جَدِيدٍ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ عَلَى أَسْسٍ وَأَخْلَاقِيَّاتٍ الْإِسْلَامِ عَلَى الرَّغْمِ مِنَ التَّمَزُّقِ الَّذِي كَانَ يَحْيَا فِيهِ مَجْتَمَعُ الْمَدِينَةِ قَبْلَ وَصُولِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

٢ - تَوْسِيعُ رَقْعَةِ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ لِكَيْ يَشْمَلَ شِبْهَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَسَاحَةِ تَصِلُ إِلَى مِلْيُونِ مِيلٍ مَرَبِعٍ، وَهِيَ مَسَاحَةٌ تَعْجُزُ وَسَائِلُ الْقِتَالِ الْحَدِيثَةِ عَنْ تَحْقِيقِ مِثْلِهَا فِي نَفْسِ الْفَتْرَةِ الزَّمْنِيَّةِ، مَعَ مَرَاعَاةِ أَنَّ جَمِيعَ الْأَطْرَافِ الْمَعَادِيَةِ الَّتِي وَاجْهَهَا الْجَيْشُ الْمُسْلِمُ كَانَتْ تَتَمَتَّعُ بِالتَّفُوقِ الْبَشَرِيِّ وَكَثْرَةِ الْمَعَادَاتِ إِضَافَةً إِلَى الْخُبْرَةِ الْقِتَالِيَّةِ وَدِرَاسَةِ طَبِيعَةِ الْأَرْضِ.

٣ - بِنَاءُ جَيْشٍ مُسْلِمٍ قَوِيٍّ قَادِرٍ عَلَى حِمَايَةِ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ وَتَوْفِيرِ الْأَمْنِ لَهُ، وَأَيْضًا قَادِرٍ عَلَى حِمَايَةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالدَّعَاةِ وَهُمْ يَنْتَشِرُونَ شَرْقًا وَغَرْبًا لِإِبْلَاجِ كَلِمَةِ الْحَقِّ لِلْعَالَمِينَ.

وَأَخِيرًا يُمْكِنُنَا الْقَوْلُ أَنَّ أَنْمُودَجَ الْقِيَادَةِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ الْقَائِدُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَثْبُتُ أَنَّ التَّوَازْنَ بَيْنَ الْعَاطِفَةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ وَحَسَنِ الْإِدَارَةِ وَالضَّبْطِ هُوَ الْأَنْمُودَجُ الْأَفْضَلُ فِي الْقِيَادَةِ وَهُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَسِيرَ عَلَيْهِ الْقَادَةُ التَّرْبَوِيُّونَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ التَّوْفِيقَ فِي إِدَارَتِهِمْ وَالنَّجَاحَ لِمُؤَسَّسَاتِهِمْ، تَأْسِيًا بِالرَّسُولِ الْقَائِدِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَعَلْنَا نَوْجِزُ أَبْرَزَ نَتَائِجِ هَذَا الْبَحْثِ فِي الْآتِي:

• خاتمة في النتائج:

- ١ - وازن الرسول صلى الله عليه وسلم في شخصيته القيادية بين العاطفة والإدارة وجمع بين أسلوب الوالديه الراعية المساعدة والوالدية الناقدة الموجهة بكل كفاءة.
- ٢ - أنه يمكن الجمع بين الأداء الإداري المميز والمحافظة على الود و حسن العلاقة مع المرؤوسين وقد كان في سيرته صلى الله عليه وسلم أبرز دليل على ذلك.
- ٣ - أن الجانب الإنساني والعاطفي يزيد القائد مهابة ومحبة في قلوب أتباعه إذا أستخدم بالأسلوب الصحيح، وفي الوقت المناسب، كما يتضح من سيرته عليه الصلاة والسلام.
- ٤ - أن العاطفة و حسن العلاقة مع المرؤوسين أكبر داعم للقيادة في تحقيقها لأهداف المنظمة.
- ٥ - وضع الرسول صلى الله عليه وسلم حدودا تنظم العلاقة بين العاطفة الشخصية و المواقف الإدارية الحازمة، بحسب كل موقف وما يتطلبه من تغليب أحد الجانبين.
- ٦ - من خلال ما تقدم يتبين أن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم هي أنموذج الإدارة القيادية الأول في التوازن بين العاطفة والإنتاجية، وهنا تدعو الحاجة إلى خدمة هذه السيرة العطرة لهذا القائد الفذ بالمزيد من الدراسة والتحليل لجانبها الإداري القيادي وتقديمها للمختصين أنموذجا متكاملًا للقيادة في السلم والحرب.

• المراجع:

- ١- أبو عبد الله ابن القيم زاد المعاد في هدي خير العباد، حققه: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، دار الرسالة.
- ٢- الصلابي د. محمد علي السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ط١ دار التوزيع والنشر بالقاهرة .
- ٣- الشريف أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، الناشر: دار الفكر العربي.
- ٤- الغضبان منير، فقه السيرة النبوية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث مكة المكرمة.
- ٥- البوطي محمد سعيد رمضان فقه السيرة،، الطبعة الحادية عشرة، دار الفكر، دمشق- سوريا، ١٩٩١م.
- ٦- الغزالي محمد، فقه السيرة، دار القلم، دمشق، سوريا الطبعة الرابعة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٧- الفهداوي خالد، الفقه السياسي للوثائق النبوية،، دار عمار، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م..
- ٨- أبو فارس محمد عبد القادر في ظلال السيرة النبوية، الهجرة النبوية،، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٩- الحميدي د. عبد العزيز التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، دار الدعوة، الإسكندرية
- ١٠- فريد أحمد وقفات تربوية مع السيرة النبوية،، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- ١١- البلاي عبد الحميد وقفات تربوية من السيرة النبوية، المنار، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ١٢- العقاد عباس محمود عبقرية محمد الناشر: المكتبة العصرية
- ١٣- شيت خطاب محمود، الرسول القائد، منشورات دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة- بغداد الطبعة الثانية
- ١٤- باوزير أحمد، مرويّات غزوة بدر، مكتبة طيبة، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
- ١٥- الباكري حسين أحمد، مرويّات غزوة أحد، رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية، إشراف، د. أكرم العمري، عام ١٣٩٩هـ.
- ١٦- المدخلي إبراهيم بن محمد، مرويّات غزوة الخندق ،الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ .
- ١٧- قريبي إبراهيم بن إبراهيم مرويّات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- ١٨- الحكمي د. حافظ مرويّات غزوة الحديبية، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ١٩- إبراهيم بن إبراهيم مرويّات غزوة حنين وحصار الطائف، قريبي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ
- ٢٠- العواجي محمد بن محمد، مرويّات الإمام الزهري في المغازي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م

- ٢١- الجمل أحمد عبد الغني النجولي، هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٢٢- جزولي أحزمي سامعون، الهجرة في القرآن الكريم، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٢٣- البر د. عبد الرحمن، الهجرة النبوية المباركة، دار الكلمة، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٤- العودة د. سليمان الهجرة الأولى في الإسلام، دار طيبة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٢٥- أحمد د. إبراهيم علي محمد، في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، وزارة الأوقاف بدولة قطر الطبعة الأولى، رجب ١٤١٧هـ.
- ٢٦- الأسطل علي رضوان أحمد، الوفود في العهد المكي وأثره الإعلامي، دار المنار، الأردن عمان الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٢٧- قاسم د. عون الشريف، نشأة الدولة الإسلامية، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٢٨- أبو صالح خالد، مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته وأثره على الأمة، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٢٩- الصلابي علي محمد، فقه التمكين في القرآن الكريم، دار البيارق، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- ٣٠- محمود عبد الحليم، فقه الدعوة إلى الله، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- ٣١- نوح د. سيد محمد، فقه الدعوة الفردية، دار اقرأ، صنعاء.
- ٣٢- دويدار أمين، صور من حياة الرسول، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.
- ٣٣- فيض الله د. محمد فوزي، صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٦م
- ٣٤- مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ٣٥-
- ٣٦- العقيل عبداللطيف عبدالله الإدارة القيادية الشاملة. مكتبة العبيكان الرياض ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
- ٣٧- المطيري د. حزام بن ماطر المهلكي الإدارة الإسلامية المنهج والممارسة مكتبة الرشد ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
- ٣٨- بيتر دركر: "ممارسة الإدارة The practice of management" ترجمة ونشر مكتبة جرير، الطبعة الأولى (٣٩) ٢٠٠٠ م .
- ٣٩- بيرري م. سميث: (تولي المسؤولية) دليل عملي للقادة، ترجمة: عبدالقادر عثمان، مركز الكتب الأردني، ١٩٨٩م.
- ٤٠- جميس كوزيس و باري بوزنر: "تحديات الزعامة The leadership challenge how to get extraordinary things done in organization" ترجمة: جورج خوري، تدقيق: وليم حيرا، مركز الكتب الأردني، ١٩٨٩م .